الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى – جيجل
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

عنوان المذكرة

المديح النبوي عند بلقاسم بن منيع التاكساني

دراسة أسلوبية لقصيدة "نزهة اللبيب في محاسن الحبيب"

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
– تخصص: نقد عربي معاصر

إعداد الطالبين:
- عبد القادر هاشمين
- سليمان بن خليف

إشراف الأستاذ:
- أ.د. محمد الصالح خرفي

1– الاستاذ توفيق قحام..... رئيسا.

2– الأستاذ الدكتور محمد صالح خرفي..... مشرفا.

3–الدكتور صلاح الدين باوية..... عضوا مناقشا.

السنة الجامعية 2016/2015م الموافق لـ1437/1436 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

يـــا رب إن عظمـــت ذنـــوبي كثـــرة

فلقـــد علمـــت بـــأن عفـــوك أعظـــم

إن كـــــان لا يرجـــــوك إلا محســـــن

فمـــن الـــذي يـــدعو ويرجـــو المجـــرم

أدعـــوك ربـــي كمـــا أمـــرت تضـــرعا

فـــإذا رددت يـــدي فمـــن ذا يـــرحم

مـــــالي إليـــــك وســـــيلة إلا الرجـــــا

وجميـــل ظنـــي ثـــم إنـــي مســـلم

شكر وعرفان

أولا نحمد الله عز وجل الذي وفقنا لتتويج عملنا

وبكل معاني الشكر والعرفان نتوجه لكل من أمدنا

بالمساعدة سواء من قريب أو من بعيد ووقف إلى

جانبنا لإخراج هذا العمل على هذه الصورة، وإن كان

لنا أن نخص أحدا بالذكر فلا يسعنا إلا أن نقدم خالص

شكرنا وامتناننا للأستاذ القدير الذي أشرف على هذا

العمل "**محمد صالح خرفي**" مثنين على توجيهاته

الثمينة.

وأخيرا فإن وفق هذا العمل وحوى في طياته على

إيجابيات ونجاح يذكر فهو منسوب لجميع من ساعدنا

مقدمة

كثرت المدائح النبوية بين الشعراء فتنافسوا في نظمها وذهبوا بها كل مذهب وتسابقوا إلى إنشادها في المحافل والنوادي.

وإذا كان الظهور الأول للمدائح النبوية بدأ مع الصحابة الأخيار عدوا أول مؤسسي وواضعي لبنات هذا الغرض الأدبي، فحسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وكعب بن زهير ... قد نظموا قصائد في مدح النبي تناقلتها الأجيال في جميع الأعصار وكل الأمصار، وقد جسدوا شخص الرسول الكريم المثل الكامل للمسلم في حله وترحاله ودينه ودنياه.

ومن هنا فإن المديح النبوي كانت له قدما راسخة عند شعراء الجزائر منذ القديم إلى الحديث، حيث تبارز الشعراء في مدح الرسول ﷺ، فتناقل بين الفصيح والملحون، خاصة في العصر الحديث الذي عرف غزوا صليبيا للجزائر، وما لهذه المرحلة من خصوصية لدى الجزائريين، جعلت الشعراء بمدحهم إلى الله يلجؤون وبالنبي ﷺ يقتدون، فكثرت المنظومات المدحية لشخص النبي ومكارمه، والتي من ضمنها مدونة دراستنا وهي قصيدة "نزهة اللبيب في محاسن الحبيب" للشاعر بلقاسم بن منيع التاكسني الجيجلي.

ولم تقف المدائح النبوية عند اختيار الألفاظ القوية والتراكيب الجزلة، بل تعدتها إلى الصورة ورسمها والنغمة الموسيقية ووقعها، كل ذلك تعظيما لمقاسم الرسول الكريم عليه أفضل صلاة وأزكى التسليم.

وتم اختيارنا للموضوع لأسباب عدة وأهداف جمة، لعل أبرزها ما للمديح النبوي من أثر إيماني ووقع روحاني على سامعه وقارئه فضلا عن دارسه ومحلله. أما إختيارنا لنص بلقاسم بن منيع فيعود لتشكل رغبة لدى الباحثين في معرفة هذه الشخصية الأدبية الفذة، وذلك بعد التعرف على شخصه من خلال الملتقى الوطني حول مسيرة وأعمال وآثار العلامة الشيخ بلقاسم بن منيع المنعقد سنة 2015، والذي حفزنا، بعد إكتشاف هذه الشخصية،

على السعي لدراسة منتوجها الأدبي، وخاصة وأنه يلتقي مع ميلنا الجارف نحو النصوص الدينية.

– المساهمة في إثراء المكتبة العربية عامة، والجزائرية خاصة بمثل هذه الدراسة التطبيقية على نص من التراث باستعمال مناهج نصانية.

– الوقوف على البنى والأنساق الداخلية للنصوص التي قيلت في مدح سيد البرية.

– محاولة تقييم بعض المفاهيم حول الزمن الاستعماري للجزائر، ومدى انحطاط وجهل الأمة الجزائرية في كل المجالات خاصة الثقافية.

– إحياء وبعث التراث المحلي الجيجلي والدفع به نحو الدارسين والباحثين.

أما الهدف من اختيار بلقاسم بن منيع موضوعا لدراستنا هو الإطلاع على حياة الشاعر وعصره، والزمن الذي ألف فيه قصيدته، والتعريف به وتقديمه للاجيال الجديدة التي تجهل كثيرا عن هذه الشخصية الأدبية الفذة.

ونحن بصدد إعداد هذا البحث انطلقنا من إشكالية أساسية تفرعت منها عديد الأسئلة والتي نحاول الإجابة عنها من خلال تسويد صفحات هذا البحث المذكور، من أهمها:

– ما هي بنية الخطاب الشعري في الخطاب النبوي عند بن منيع التاكساني؟

– وما مدى استغلالية وتوظيف المنهج الأسلوبي في تحليل المديح النبوي؟

وتفرعت عنه تساؤلات فرعية منها:

– ما هي أهم الإنزياحات الأسلوبية في قصيدة "نزهة اللبيب في محاسن الحبيب"؟

– وما هي السمات الأسلوبية التي تندرج ضمن هذه الإنزياحات، وما هي التجليات الدلالية التي تأخذها هذه الملامح في القصيدة، ومدى تأثيرها على المتلقي؟

هذا وقد استعنا في إنجاز البحث بمصادر ومراجع متنوعة: منها ما تعلق بالمديح النبوي، ومنها ما تعلق بالجانب الأسلوبي التطبيقي، وهذه تتنوع من الصوتي والبلاغي والتركيبي والمعجمي تجمع بين القدامى والمحدثين، نذكر منها: المدائح النبوية لزكي مبارك – المدائح النبوية لعلي مكي – الشعر الديني الجزائري الحديث لعبد الله ركيبي – الشفا للقاضي عياض– السيرة النبوية لابن هشام – الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية لفتح الله أحمد سليمان– الأسلوبية والصوفية لأماني سليمان داوود – المعلقات السبع دراسة أسلوبية لأحمد عثمان أحمد.

وقد تطلب ميدان الدراسة أن تتوزع مادة البحث على النحو التالي:

– مقدمة: ذكرنا فيها المديح النبوي عند ابن منيع ومدى تطور ونشأة هذا الغرض عند شعراء الجزائر والأساليب المستعملة والتراكيب.

وبعد المقدمة فصلين؛ ففي الأول كانت لنا وقفة مع الجانب النظري في المديح النبوي كيف نشأ وتطور وأهم الشعراء الذين فيه برزوا واقتدروا ثم الانتقال الزمني إلى المديح النبوي الجزائري وذلك لأن الشاعر بلقاسم بن منيع جزائري "جيجلي" وكيف كان تطوره في الجزائر، كل هذا بشيء من الاختصار والإيجاز، لأننا جعلنا تركيزنا الأكبر واهتمامنا الأعظم حول الجانب التطبيقي للبحث والذي خصصنا له الفصل الثاني من دراستنا، حيث اخترنا المنهج الأسلوبي الذي عمدنا على تطبيقه على نص القصيدة بمستوياته الأربع.

فبدأنا بالمستوى الصوتي وقفنا فيه مع الوحدات الصوتية التي تؤدي دورا مهما في الألفاظ ووظيفتها بها يبرز الوزن والقافية والروي هذا في الجانب الخارجي، أما مستوى الإيقاع الموسيقي الداخلي، فقمنا فيه بتوزيع الأصوات بعناية بين مهموسة ومجهورة وغيره، أما المستوى التركيبي فكان قسمين بين الصرفي والنحوي؛ ففي الجانب الصرفي وقفنا على أوزان الأفعال الظاهرة ومشتقات الأسماء البارزة مستخرجين دلالتها، وفي الجانب النحوي اخترنا تراكيب مثل التقديم والتأخير وعلاقته بالانزياح الأسلوبي في قصيدته نزهة اللبيب في محاسن الحبيب.

– المستوى البلاغي ولأهميته هو ختام بحثنا، حوى الأساليب الخبرية والإنشائية والصور الشعرية والتناص، وجعلنا لكل مستوى مما ذكرنا مقدمة.

أما المستوى المعجمي فقسم إلى معجمي الأسماء والأماكن، وذلك أن القصيدة طغت فيها الأسماء فهي تمدح الرسول بأسمائه العظيمة، فأسماء الرسول ﷺ كانت أكثر استعمالا ثم تلتها أسماء الله الحسنى فأسماء الرسل والملائكة والصحابة ...

أما معجم الأماكن فقد عرج الشاعر فيها على بعض الأماكن المقدسة وأماكن غيبية غير مشاهدة، وجعلنا في ختام المستوى جدولا إحصائيا للأسماء بأنواعها وآخر للأماكن.

– القصيدة في مجملها أربعمائة وبيتين (402) ولطولها تعذر علينا دراستها فإخترنا ثلاثا وثمانين (83) بيتا منها وهذا الاختيار لم يكن عشوائيا وإنما كان وفق الأماكن والأسماء.

وفي أثناء بحثنا واجهتنا عديد الصعاب أشدها عدم وجود دراسات سابقة للقصيدة إلا ما ذكره الأستاذ عبد الله ركيبي في كتابه الشعر الديني الجزائري الحديث، وهي بضع شذرات نقدية لا غير، وقلة المراجع التي تؤرخ للمديح النبوي الجزائري.

ولبلوغ ما ننشده من هذا البحث اخترنا المنهج الأسلوبي ؛ الذي يقف على أهم المستويات اللغوية المعروفة حيث تصف الظاهرة الأسلوبية وتحل عناصرها وهو منهج يساعد الباحث بالوصول إلى المضامين الإبلاغية على الدلالة الأسلوبية خاصة عندما يزاوج مع الإحصاء والدراسة التطبيقية تبور العبارة البليغة والتركيبية اللطيفة مع المعنى البديع، واستعنا بالإجراء الإحصائي كمساعد لنا.

ولا يسعنا في ختام بحثنا إلا أن نتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان ووافر العرفان لأستاذنا الجليل الأستاذ الدكتور: محمد الصالح خرفي على قبوله احتضان البحث ورعايته، وعلى ما أسداه إلينا من نصح وإرشاد وتوجيه، حتى وقف هذا البحث على قدميه وتكاملت أجزاؤه فجزاه الله عنا خير الجزاء، دون أن ننسى أعضاء لحنة المناقشة التي شرفنا بقراءتها لبحثنا وإبدائها مواطن النقص فيه.

كما نتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الرفيع إلى كل من قدم لنا يد العون من قريب أو من بعيد، ونخص بالذكر جامعة محمد الصديق بن يحي ممثلة في أساتذتها الكرام وطاقم المكتبة.

ونسأل الله أن نكون قد وفقنا لما قصدنا.

الفصل الأول: المديح النبوي في الشعر العربي

المبحث الأول: مفهوم المديح النبوي

المديح النبوي من أهم موضوعات الشعر العربي، وقد نظم الشعراء المسلمون فيه قصائد كثيرة منذ بزوغ فجر الإسلام حتى الآن، عبر فيه كثير من الشعراء عن عواطفهم الجياشة إزاء رسول الله ﷺ ودافعوا بشعرهم عنه وعن دينه، حيث عبروا عن حبهم وشوقهم له، فأبدعوا النفائس الشعرية في مدح سيد البرية عليه الصلاة والسلام، فكانت إبداعاتهم الشعرية طافحة بالعواطف الدينية والمعاني الصافية الراقية التي اغترفوها من معين شخصه عليه الصلاة والسلام.

1- التعريف بالمديح لغة

جاء في لسان العرب بيان للجذر اللّغوي لكلمة " مدح" والتي جاءت نقيض الهجاء وهو الثناء، يقال: مدحته مدحة واحدة ومدحه مدحا ومدحة وهذا قول بعضهم، والصّحيح أنّ المدح هو المصدر والمِدحة الإسم، والجمع مدح وهو المديح، والجمع المدائح والأماديح على غير قياس، ونظيره حديث وأحاديث، و المدائح جمع المديح من الشّعر الذّي مدح به، والمادح ضدّ المقابِح.[1]

كما جاء في قاموس "المحيط" لفيروز آبادي لأصل كلمة المدح ما يلي:" مدحه كمنعه، مدحا ومدحة: أحسن الثناء عليه كمدحه وامتدحه وتمدّحه، والمديح والمدحة والأمدوحة ممّا يمدح به، جمع مدائح وأماديح وممدّح كمحمد ممدوح جدّا، وتمدّح تكلّف أن يمدح، وافتخر وتشبّع بما ليس عنده."[2]

إنّ المعاجم اللّغوية الأخرى لا تكاد تختلف عمّا جاء في المعجمين أعلاه من حيث بيان المعنى اللّغوي

(1) ابن منظور : لسان العرب. دار صادر، بيروت، لبنان مج 2، دط، دت، ص 589.
(2) الفيروز آبادي : القاموس المحيط. مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط8، 2005، ص240.

للمديح، والمقصود به في كلّ الأحوال حسن الثناء، لهذا لاقى المديح أرضا خصبة لدى الشعراء على اختلاف مشاربهم، ويبدو الأمر أكثر من طبيعي لأنّ الإنسان بطبعه يميل إلى الثناء وتسعد نفسه بألفاظ المديح.

ويعتبر المديح من أكثر الفنون الأدبية رواجا وشيوعا، حيث خاض فيه معظم الشعراء ونظموا فيه القصائد الكثيرة التّي تعدّد مآثر الفرد أو الجماعة، وكانت المعاني التي يدور حولها المديح في أغلبها مستمدّة من بيئة العرب الصحراوية، ودليل ذلك أنّ العرب كانوا يمدحون بالجود والعزّة والشّجاعة وإكرام الضّيف ورعاية حقوق الجار. وهكذا كان المديح يهتمّ في المقام الأوّل بالقيم الإنسانية حفاظا عليها وترسيخا لها في النفوس.

2 – التعريف بالمدائح النبوية اصطلاحا

عرّفها الناقد المفكّر " زكي مبارك " بقوله: " هي فنّ من فنون الشّعر التي أذاعها التصوّف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرّفيع، لأنّها لا تصدر إلاّ عن قلوب مفعمة بالصّدق والإخلاص."[1]، و يعرّفها " محمود سالم محمّد" بقوله : " المدائح النبوية هي لون من ألوان الأدب الدّيني، تتعلّق بصاحب الدّين، وهادي النّاس إلى النّور والحقّ، لذلك عبقت بالمشاعر الدّينية وامتلأت بالمفاهيم الدّينية، وتعرّضت لسيرة النبيّ ﷺ وفضائله ومعجزاته وأظهرت تميّزه بين البشر."[2]

فشعراء المديح النبوي هاموا بفضائل رسول الله ﷺ وتغنّوا بها، فجاء مدحهم للنبي ﷺ مختلفا عن كل أشكال المديح الذي كان معروفا عند سائر النّاس، لأنّ رسول الله ﷺ يختلف عن باقي الناس في كلّ شيء، في أخلاقه وميزاته...، فإذا كان الشّعراء عادة يمدحون الرّجل بطيب المحتد، وعراقة الأصل، وكرم الأجداد والآباء، فإنّ رسول الله ﷺ عند مدّاحه أفضل النّاس أصلا وأزكاهم نسبا وأعلاهم قدرا.

(1) زكي مبارك: المدائح النّبوية في الأدب العربي. منشورات المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص17.
(2) محمود سالم محمد: المدائح النبوية حتّى نهاية العصر المملوكي. دار الفكر، دمشق- سوريا، ط1، 1996، ص 218.

المبحث الثاني: نشأة المديح النبوي وتطوّره:

1 – نشأة المديح النبوي:

إنّه لمن الصّعوبة بمكان أن يقف الباحث على بداية تاريخ ثابت وقارّ لنشأة فنّ المديح في الأدب العربي خلاف المديح النبوي الذّي له بدايات محدّدة وتأريخ معيّن، حيث حفظت لنا السّير أدقّ التفاصيل عنه، ممّا يسهّل على الباحث تلمّس البداية الزّمنية أو على الأقل الميلاد الحقيقي لفنّ المديح النبوي والوقوف عند أبرز محطّاته.

و لا بدّ هنا من التفريق بين المديح النّبوي قبل بعثته ﷺ باعتباره إنسانا عاديا يعيش بين الناس بأخلاقه الكريمة وشمائله العظيمة، وبين مدحه ﷺ بعد البعثة:

أ – المديح النبوي قبل البعثة: كان المجتمع العربي يحكمه نظام قبلي وعلاقة القبائل بعضها ببعض تقوم غالبا على العداء، فالقبيلة مغيرة أو مغار عليها، وكان لكلّ قبيلة شاعر يرفع ذكرها ويتغنّى بمفاخرها، وكلّ فرد في القبيلة تبعا لذلك كان متعصّبا لها ومدافعا عنها، وبالمقابل كان على الأخيرة من جهتها أن تحميه بدورها وتدافع عنه، و باعتباره ص نشأ في قبيلة من أكبر قبائل العرب فقد شمله مدح أفرادها له.

و لعلّ ما نعرفه من الشّعر الذّي قيل في الرّسول ﷺ في الدّور المكّي من حياته قبل بعثته هو ذلك المنسوب إلى أبي طالب عمّه ﷺ وكافله بعد وفاة جدّه عبد المطّلب إذ يقول فيه:

فَمـــن مثلُـــه في النّـــاسِ أيُّ مؤمّـــلٍ ... إذا قاسَـــه الحكّـــامُ عِنـــدَ التفاضـــلِ

حلـــيمٌ رشـــيدٌ عـــادلٌ غـــيرُ طـــائشٍ ... يُـــوَالي إلهًـــا لـــيسَ عنـــهُ بغافـــلِ[1]

(1) الأعشى (ميمون بن قيس) : الديوان. شرحه وقدّم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتاب العلمية، بيروت – لبنان، ط2، 1993، ص 49.

"فقد كان محمّد ﷺ قبل الرّسالة فتى قريش الذّي إليه يطمئنّون، وبأمانته يعترفون، وباستقامته يضربون الأمثال، فكان يعرف بينهم بالأمين، وقد كان ﷺ ذا مهابة وجلال وجمال في قومه وهو في فجر صباه، فليس من قريش من لا يعرف محمدّا الصبيّ المستقيم والشّاب الأمين، فقد عصمه ربّه من أوزارها وجنّبه المشاركة في عاداتها الجامعة، وأنجاه من رذائلها، ومن ثمّ كانت صفحته قبل الرّسالة وضّاءة الحنيات."[1]

و من المستحبّ ونحن نتحدّث عنه ﷺ قبل البعثة أن نشير إلى أخته في الرّضاع " الشيماء " بنت حليمة السّعدية، إذ كان من عادة نساء العرب أن يرقّصن أطفالهنّ الرّضع بضرب من الشّعر عرف بشعر الترقيص، ولشدّة تعلّق الشّيماء بحبّ أخيها الرّضيع محمّد ﷺ فقد مدحته – ومن إنشائها – بأبيات شعر بالغة الرّقة إذ قالت:

يـــا ربِّ أبْـــقِ أخِـــي مُحَمّـــدَا حـــتَّى أراهُ يافعًـــا وأمـــردَا

و اكبِـــتْ أعَادِيـــهِ معًـــا والحُسَّـــدَا واعْطِـــهِ عِـــزًّا يـــدُومُ أبـــدَا

هـــذا أخٌ لِي لمْ تلـــدْهُ أمِّـــي ولـــيسَ مِـــنْ نســـلِ أبِي وعَمِّـــي

فَدَيْتُـــهُ مِـــنْ مَخُـــولٍ مُعِـــمِّ فأَنْمِـــهِ اللَّهُـــمَّ فِيمَـــا تُنَمِّـــي[2]

ب – المديح النبوي بعد البعثة: هاجر الرّسول ﷺ إلى يثرب بعد أن ظلّ في مكّة ثلاث عشر سنة يدعو إلى الدّين الجديد، فيلاقي هو وأصحابه من تعنّت قريش وعنادهم بلاء كبيرا.

إذ كانت هجرته إلى يثرب مفتتح طور جديد في تاريخ الإسلام، حيث لقي من أهلها ترحابا شديدا والتفّوا حوله ﷺ، ولم يمض وقت قليل حتّى اعتنق معظم أهلها الإسلام عن صدق وقناعة، فبدأت المعركة بين المسلمين

(1) مصطفى الشّعكة : البيان المحمّدي. الدّار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1995، ص 31.
(2) المرجع نفسه، ص 32.

من جهة قريش وقريش من جهة أخرى، وكان سلاح الشّعر من أمضى الأسلحة في هذه المعركة، حيث قام شعراء قريش من المشركين بهجاء الرّسول ﷺ وأصحابه من المهاجرين ومن آواهم في المدينة (يثرب) من الأنصار، وكان من أبرز هؤلاء الشّعراء أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب بن عمّ النبيّ ﷺ، وعبد الله بن الزعيري وغيرهما، فاستأذن عليّ بن أبي طالب رسول الله ﷺ للردّ عليهم، لكنّه ﷺ آثر أن يكلّف شعراء الأنصار بهذه المهمّة فقال ﷺ: " ما يمنع القوم الذّين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟" فقال حسّان بن ثابت رضي الله عنه:" أنا لها".[1]

و من تلك اللّحظة أصبح حسّان شاعر الرّسول ﷺ الأوّل وأبرز المدافعين عن الإسلام ومناقضي خصومه.

1 – حسّان بن ثابت: حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي هو الشّاعر الذّي كانت له شهرة واسعة في الجاهلية، فلمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلم حسّان وحسن إسلامه، فجعله رسول الله ﷺ شاعره المنافح عن حماية المسلمين، ودعا له النبيّ ﷺ فقال: " اللهمّ أيّده بروح القدس" ولمّا دعاه لهجاء أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب وهو بن عمّ النبيّ ﷺ سأله كيف يهجوه ويهجو قومه وهو منهم – أيّ الرّسول ﷺ – لكنّه ﷺ نفى أن تكون الأنساب مبرّرا للكفر، فقال حسّان عندئذ: " والله لأسلّنّك منهم كما يسلّ الشّعر من العجين." [2]

و هذا دليل على شاعريته ووفائه للنبي الكريم ص، وفي هذه الحقبة أصبح حسّان شاعر الرّسول ﷺ وأصبح شعره مرآة لجميع الأحداث التّي توالت على المسلمين، وأصبحت لحسّان منزلة خاصّة في نفوس المسلمين لدفاعه عن الرّسول الكريم وذوده عن الإسلام، و لاقى شعره الإعجاب والتقدير، واقتصر مدح حسّان لهذا العهد على النبيّ وخلفائه وكبار الصّحابة الذّين أبلوا في الإسلام بلاء حسنا، وهو مدح يختلف عن المدح التكسّبي، وممّا قال:

(1) محمود علي مكّي : المدائح النبوية. الشركة المصرية العالمية للنشر، الجيزة– مصر، ط1، 1999، ص 12.
(2) المرجع نفسه، ص 12.

نـــبِيٌّ أَتَانَـــا بعْـــدَ يـــأسٍ وفـــترةٍ ... مِـن الرُّسْـلِ والأوثـانُ في الأرضِ تعبـدُ

فأمْسَـــى سِـــراجًا منـــيرًا وهاديًـــا ... يلـــوحُ كمـــا لاحَ الصّـــقيلُ المهنّـــدُ

وَ أنـــذَرَنَا نـــارًا وبشّـــرَ جنّـــةً ... وَ علّمَنَـــا الإســـلامَ فـــاللهَ نحمُـــدُ

وَ أنْـــتَ إلـــهُ الخلـــقِ ربِّي وخَـــالقِي ... بـذلكَ مـا عَمَّـرْتُ في الخلْـقِ أشـهدُ

تعاليـتَ ربَّ النّـاسِ عَـن قـولِ مـن دعَـا ... سِـــواكَ إلهًـــا أنْـــتَ أعلَـــى وأمجـــدُ

لـــكَ الخلـــقُ والنعْمـــاءُ والأمـــرُ كلُّـــهُ ... فإيّـــاكَ نَسْـــتهدِي وإيّـــاكَ نعبـــدُ[1]

و من روائع شعر حسّان بن ثابت وهو يمدح الرّسول الكريم ﷺ قوله:

أغـــرُّ* عليـــه للنُبُـــوَّةِ خَـــاتَمٌ ... مِـــن اللهِ مشـــهودٌ يلـــوحُ ويشْـــهدُ

و ضـــمَّ الإلـــهُ اســـمَ النـــبيِّ إلى اسْمِـــه ... إذا قـــالَ في الخمْـــسِ المـــؤذّنُ أشْـــهدُ

و شـــقَّ لـــهُ مِـــن اسْمِـــه لِيُجِلَّـــهُ ... فَـــذُو العَـــرْشِ مَحْمُـــودٌ وهـــذا مُحَمَّـــدُ[2]

فهنا يقدّم الشّاعر الدّليل المرئي على صدق نبوّة محمّد ﷺ في خاتم النبوّة الذّي وسمه الله به بين كتفيه والذّي يعلمه الأحبار والرّهبان بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء، ثمّ يشيد بتكريمه لنبيّه حيث ضمّ اسمه إلى اسمه سبحانه في الشّهادتين اللتين ينطق بهما المؤذّن خمس مرّات كلّ يوم، كما كرّمه باشتقاق اسمه من وصفه، فالله محمود واشتقّ لرسوله من ذلك الوصف اسم محمد.

2 – كعب بن مالك: هو واحد من جلّ الأنصار الذّين ندبوا أنفسهم للدّفاع عن الإسلام، والمنافحة عن رسول

(1) حسّان بن ثابت : الديوان. دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط2، 1994، ص 14.

* الأغرّ: أبيض الوجه، يريد سيّدا شريفا كريم الأفعال.

(2) حسان بن ثابت: مرجع سابق، ص 54.

الله ﷺ والردّ بسلاح الشّعر على مشركي قريش، أوّلهم وأشعرهم في نظر القدماء هو حسّان بن ثابت وقد مضى الحديث عنه، أمّا الإثنان الباقيان فهما كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة.

أمّا كعب فقد كان من شهود بيعة العقبة وبايع بها، وتخلّف عن بدر وشهد أحدا وما بعدها، وتخلّف عن تبوك، وهو أحد الثلاثة الذّين تاب الله عليهم، ولمّا قدم على رسول الله ﷺ آخى النبيّ بينه وبين طلحة بن عبيد الله، وكان أحد شعراء رسول الله ﷺ الذّين يردّون الأذى عنه، فضلا عن كونه مجلا له و مقدرا، وقد طغى عليه في الجاهلية أمر الشّعر وعرف به.

وله شعر كثير مبثوث في كتب السيرة النبوية، وقد تمّ جمعه في ديوان مستقلّ، ومعظم هذا الشّعر في مشاهد الرّسول ﷺ وغزواته، وفي مناقضة شعراء قريش، فهو يقول في يوم بدر وإن كان لم يشهده، متحدّثا عن نصر الله لجنوده، ومتوعّدا أبا سفيان بن حرب زعيم قريش:

فمـــا حامَـــتْ فوارسُـــكم بِبـــدْرٍ ... ومـــا صـــبروا بـــه عنـــد اللّقـــاءِ

وَرَدْنَـــــاهُ بِنُـــــورِ اللهِ يَجْلُـــــو ... دُجَـــى الظّلْمـــاءِ عنّـــا والغِطـــاءِ

رســـــولُ اللهِ يَقْـــــدُمُنَا بِـــــأَمْرٍ ... مـــنَ أمـــرِ اللهِ أحْكِـــمْ بالقَضَـــاءِ

فَمَـــا ظفِـــرَتْ فَوَارسُـــكُمْ بِبَـــدْرٍ ... ومَـــا رَجَعُـــوا إِلَـــيْكُمْ بِالسّـــواءِ

فـــلا تعْجـــلْ أبـــا ســـفيانَ وارقُـــبْ ... جِيـــادَ الخيـــلِ تطلـــعُ مِـــنْ كُـــداءِ

لينصُـــرَ اللهُ روحَ القـــدْسِ فيهـــا ... ومِيكـــالَ فيـــا طيـــبَ المـــلَاءِ[1]

وبهذا يعدّ كعب واحدا ممّن تصدّوا لكبار قريش حين هجوا الإسلام والنبيّ عليه السّلام، فكان شعره عليهم أشدّ من وقع النّبال، و أكثر إزعاجا لقريش وإثارة للقلق والاضطراب في صفوفها، لأنّه كان يثير فيهم

(1) بن هشام: سيرة النبي ﷺ. ص ص 429، 430.

الخوف و الرعب وهو يهدّدهم بالحرب.

3 – عبد الله بن رواحة: ونأتي إلى ثالث شعراء الرّسول ﷺ عبد الله بن رواحة الخزرجي الذي يعد من سادة الأنصار، وهو أحد النقباء في بيعة العقبة، وشهد المغازي كلّها مع رسول الله ﷺ إلى أن استشهد في غزوة مؤتة، وما حفظ من شعره قليل بالنسبة لشعر صاحبه.

و كان بن رواحة رضي الله عنه كاتبا في بيئة لا عهد لها بالكتابة إلاّ يسيرا، وكان شاعرا ينطق الشّعر من بين ثناياه عذبا قويّا، ومنذ أسلم وضع مقدرته الشّعرية في خدمة الإسلام، وقال في رسول الله ﷺ أجمل الأبيات وأروعها يمدحه فيها، ومن ذلك:

شـــهدتُ بـــإذنِ اللهِ بـــأنَّ محمّـــدًا ... رسولُ الـذّي فوقَ السّمواتِ مـنْ عَـلُ

و أنَّ أبـــا يحْـــيَ ويحـــيَ كليْهِمـــا ... لـــه عمـــلٌ في دينِـــه مُتقبّـــلُ

و أنّ الـتّي بـالجزع مـن بطـنِ مكّـةٍ ... ومَـنْ دانهـا فـلَّ مـن الخـيرِ معـزلُ

و أنّ الـذّي عـادَ اليهـودَ ابـنُ مـريم ... رسولٌ أتى من عندِ ذي العرشِ مرسلُ

و أنّ أخـــا الأحقـــافِ إذ يعدلونَـــه ... يجاهـــدُ في ذاتِ الإلـــهِ ويعـــدلُ[1]

فشهد بالله أنّ محمّدا رسول حقّ أرسله الله المتربّع على عرش السّموات، ويذكر أبو يحي عليه السّلام، ويشير إلى العزّى – إحدى آلهة قريش- وإلى اليهود وبن مريم فيذكر في أبيات أخرى رسول الله وفضله و مناقبه وعبادته وورعه، ثم متحدّثا عن فضل هذا الدّين الجديد الذّي أتى به حيث أرى قومه الهدى بعد العمى والضّلال وأخرجهم إلى النّور والحقّ فيقول في ذلك:

(1) وليد قصاب: ديوان عبد الله بن رواحة ودراسته في سيرته وشعره. دار العلوم للطباعة والنشر، د. ب، دط، 1981، ص 93.

وفينـــا رســـولُ اللهِ يتلُـــو كتابَـــه ... إذا انشـقّ معـروفٌ مـن الصّبحِ سـاطعُ

أرانـــا الهـــدى بعـــد العمَـــى فقلوبُنَـــا ... بـــه موقنـــاتٌ أنّ مـــا قـــالَ واقـــعُ

يبيـــتُ يجـــافي جنبَـــه عـــن فراشِـــهِ ... إذا اســـتثقلتْ بالكـــافرينَ المضـــاجعُ

وأعلـــمُ علمًـــا لـــيسَ بـــالظنِّ أنّـــني ... إلى اللهِ محشـــورٌ إليـــهِ وراجـــعُ[1]

و لابن رواحة مقطوعة من بضعة أبيات اختلط فيها مديحه لرسول الله ﷺ بهجاء بعض أبناء قريش من عمر بن مخزوم وغيرهم، فارتجلها بين يدي رسول الله ﷺ لمّا قال له يوما: قل شعرا تقتضيه السّاعة وأنا أنظر إليك، فانبعث من مكانه يقول:

إنّي تفرّســـتُ فيـــكَ الخـــيرَ أعرفُـــهُ ... واللهُ يعْلـــمُ أنّـــه مـــا خـــانني البَصـــرُ

أنـــتَ النـــبيُّ ومـــن يُحـــرَمْ شـــفاعتُهُ ... يـــومَ الحســـابِ لقـــدْ أزْرَى بـــهِ القـــدرُ

فثبّـــتَ اللهُ مـــا أتـــاكَ مـــنْ حَسَـــنٍ ... تثبيـتَ مُوسى ونصْـرا كالـذّي نُصِـرُوا [2]

لقد خصّ بن رواحة في هذه المقطوعة آل هاشم- قوم النبيّ ﷺ - بالمديح، فذكر أنّ فضلهم على غيرهم يتمثل في اختيار رسول منهم.

إضافة إلى هؤلاء الشّعراء الثلاثة الذّين دافعوا عن الإسلام وذادوا عن محمّد سيّد الأنام بشعرهم، نجد شعراء آخرين انبروا لخدمة الدّين الجديد ونصرة رسوله ﷺ، فسخّروا أشعارهم تأييدا له، منهم كعب بن زهير وغيره...

يمكننا القول إجمالا أنّ هؤلاء الشّعراء من خلال مدحهم للرّسول ﷺ حاولوا تأكيد جملة من المبادئ

(1) وليد قصاب: ديوان عبد الله بن رواحة ودراسته في سيرته وشعره . ص ص 93، 94.
(2) المرجع نفسه، ص94.

والأسس الإسلامية التّي أراد الرّسول ﷺ إرساءها في أذهان الناس عند بدء الدّعوة.

"تلك الأسس والمفاهيم المتجسّدة في سيرته الشّريفة، منها هداية الرّسالة الإسلامية التّي بشّر بها رسول الله ﷺ قومه قريشا والعرب المحيطين به أوّلا ثمّ البشرية كافّة بعد ذلك."[1]

2 – المديح النبوي في العهد الأموي

هيّأ شعراء المديح النبوي في العهد الإسلامي أرضية خصبة استقرّ عليها أهل المدائح في العصور الموالية.

و من المعلوم أنّ الحياة السياسية في العصر الأموي تميّزت بالانقسامات الحزبية، فنشأت الأحزاب وظلّت تتصارع بالسّيف وبالكلمة، ولكلّ حزب شعراء انحازوا إليه ينطقون باسمه ويمدحون زعماءه ويروّجون لسياسته ويهجون خصومه، فقد أثّرت هذه الظّروف على الحياة الأدبية وبالأخصّ على الشّعر، ومن ثمّة بلغ تأثيرها فنّ المديح النبوي الذّي تشبّع بروح العصر الذّي شهد حربا شرسة نشبت بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان انتهت بحادثة مقتل عليّ كرّم الله وجهه الذّي تشيّع له فرق من الناس منهم شعراء مدحوا آل البيت بالموازاة مع مدح الرّسول الكريم ﷺ، ولكنّ خلفاء بني أميّة لم يرق لهم مدح آل البيت الذّين هم خصوم لهم في منازعتهم على الخلافة كما أشار إلى ذلك زكي مبارك في قوله: " فتلك المدائح ما كانت تروق خلفاء بني أميّة، وكيف تروقهم وهي تزكية لخصومهم أولئك الخلفاء، إنّ أقوى حجّة عند خصوم بني أميّة كانت قرابتهم من الرّسول ﷺ، فلا بدّ أن يكون مدح الرّسول تنويها بشأن أولئك المعارضين."[2]

و لمّا كان الصّراع في جوهره صراعا حول الخلافة، والخلافة الإسلامية مركز ديني وسياسي في الآن ذاته، فإنّ

(1) مصطفى فتحي أبو شارب: الظواهر الإسلامية في شعر المخضرمين – دراسة تحليلية. دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط1، 1990، ص 117.

(2) زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي. منشورات المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ط1، 1935، ص 56.

كلّ فرقة من الفرق المتصارعة حاولت أن تجد لمطالبها السياسية سندا دينيا يؤيّد حقّها في الخلافة، وهكذا طغى اسم الرّسول الكريم ﷺ وأقواله في أحاديث هذه الأحزاب وفي شعر شعرائها.

و قد منع هذا الصّراع المحتدم بين العرب من جهة، وبينهم وبين أعدائهم الخارجيين من جهة ثانية الشّعراء من أن يطيلوا التفكير في فنّهم ويلتقطوا أنفاسهم للنظر في هذا الفنّ وتجديد مضمونه وأسلوبه، لكنّ هذا الأمر لم يمنع أن يسجّل بعض الشّعراء عواطفهم الدّينية، ومحبّتهم الخالصة لرسول الله، صاحب الفضل في تكوين هذه الأمّة المنقسمة حول خلافته، فهؤلاء الشّعراء لم ينحازوا إلى فئة معيّنة، لذلك لم يكن مديحهم لرسول الله ﷺ منطلقا من وجهة نظر حزب معيّن، ولا انتصارا لمذهب سياسي ما.

و هكذا كان الشّعراء في عهد بني أميّة يتفاخرون بانتسابهم إلى رسول الله ﷺ مهما ابتعد هذا النسب، وأهمّ ما يطالعنا في المديح النبوي أثناء العصر الأموي هاشميات الكميت بن زيد الأسدي التّي انتصر فيها لحقّ الهاشميين في الخلافة، ومدحهم فيها، وتوسّع في الإشادة بهم، فذكر فضائلهم، وأحقّيتهم في الخلافة، وأوّل ما مدح به الهاشميين هو انتسابهم للرّسول الكريم، ومدحهم يعني مدحه ﷺ، فالكميت وهو يمدح الهاشميين في إحدى قصائده لمّا وصل إلى انتسابهم إلى نبيّ الله ﷺ قال:

أسْــرةُ الصّــادقِ الحــديثِ أبِي القــا ... ســـمِ فـــرعُ القُـــدَامِسِ القُـــدَّامِ

خــيرُ حــيٍّ وميّــتٍ مــنْ بَــنِي آ ... دمَ طُـــرًّا مـــأمومُهُم والإمـــامِ

أنقــذ اللهُ شَــلْونا مــنْ شــقَى النّــا ... رِ بـــهِ نعمـــةً مـــن المنْعَـــامِ

طيِّــبُ الأصْــلِ طيّــبُ العُــودِ في الــبُنْ ... يـــةِ والفـــرعِ يثْـــرِبيٌّ تهـــامِي[1]

(1) محمود سالم محمد: المدائح النبوية حتّى نهاية العصر المملوكي. ص 82.

صحيح أنّ الكميت لم ينشئ قصيدته هذه ولا قصائده الأخرى من أجل مدح رسول الله ﷺ خاصّة، وإنّما كان مديحه للرّسول الأمين ممّا استدعاه مدحه لآل بيته، لكنّه في الوقت عينه لا يمدح آل البيت لذواتهم فقط، وإنّما يعلّل مدحه لهم بقرابتهم من رسول الله ﷺ، لذلك فصّل في هذا المدح فأشاد بذات النبيّ الكريم وفضّله على كلّ البشر، وأشار إلى أثره في أمّته وفضله على الإنسانية، فجمع في مديحه بين المعاني الدّينية والمعاني الاجتماعية التقليدية.

و يعدّ الكميت بن زيد أوّل شعراء الشّيعة الذّي يمتاز بعودته إلى المديح النّبوي، ومديحه لآل البيت تنتظمه ستّ قصائد مطوّلة عرفت بالهاشميات، وتعدّ أقوى ما نظمه شاعر شيعي في عصر بني أميّة، وتتميّز بصدق العاطفة وبراعة الاحتجاج لحقّ آل علي في الخلافة.

و حبّه لآل البيت يعبّر عنه بحرارة وإخلاص تشهد بهما هذه الأبيات الأولى من بائيته الشّهيرة:

طربْتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطربُ ولا كَعَيَا مِنّي وذُو الشّيْبِ يلعَبُ

و لمْ يلْهِني دارٌ ولا رسمُ منزِلٍ ولم يتَطرَّبْنِي بنَانٌ مُخَضَّبُ

و لكنْ إلى أهلِ الفضائلِ والتُّقَى وخَيْرُ بَنِي حوّاءَ والخيرُ يُطلَبُ

إلى النّفرِ البيضِ الذّينَ بِحُبِّهِم إلى اللهِ فِيمَا نابَنِي أَتَقَرَّبُ

بَنِي هاشمٍ رهطُ النبيِّ فإنّني بِهِمْ ولهُمْ أرضَى مِرارًا وأَغْضَبُ[1]

"و يظهر من خلال القصيدة أنّ صلة الشّاعر بالهاشميين كانت وطيدة، فأشرب قلبه حبّهم، فهو يناضل عنهم ويدافع، ويعيش لهذا النضال والدّفاع، جرّاء ذلك لم يعد فيه شيء للغزل ولا للحبّ سوى حبّ بني هاشم،

(1) محمود علي مكّي: المدائح النبوية. ص 61.

فهو ينصرف إلى هذا الحبّ، وينقطع له، ويشتهر بإحسانه فيه."[1]

و تمضي هاشميات الكميت على هذا النحو من الضرب على الوتر العاطفي من ناحية، والحجاج الفعلي من ناحية أخرى، على أنّ الذّي يهمّنا من هذه القصائد هو ما تضمّنته من مديح الرسول ﷺ، ولعلّ الكميت هو أوّل من عاد إلى مثل هذا الموضوع بعد مضيّ ما يقارب القرن من وفاته ﷺ، فيقول في إحدى هاشمياته:

طربْتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطربُ ولا كَعَيَا مِنّي وذُو الشّيْبِ يلعَبُ

ولمْ يلْهِني دارٌ ولا رسمُ منزِلٍ ولم يتَطرَّبْنِي بنَانٌ مُخَضَّبُ

ولكنْ إلى أهلِ الفضائلِ والتُّقَى وخَيْرُ بَنِي حوّاءَ والخيرُ يُطلَبُ

إلى النّفرِ البيضِ الذّينَ بِحُبِّهِم إلى اللهِ فِيمَا نابَنِي أَتَقَرَّبُ

بَنِي هاشمٍ رهطُ النبيِّ فإنّني بِهِمْ ولهُمْ أرضَى مِرارًا وأَغْضَبُ[2]

لقد أعطى الكميت مديح النبيّ الأمين كثيرا من حقّه في قصائده، فأشاد بنسبه الطّاهر منذ آدم عليه السّلام، وحديثه عن هذا النّسب أضحى أصلا لحديث شعراء المديح النبوي بعده، وكذلك الأمر في إدراج صفاته وأسمائه ﷺ، وكلّ هذه المعاني التقليدية والدّينية أضحت من لوازم المدحة النبوية ومفرداتها عند جميع شعراء المديح النبوي في العصور اللاّحقة.

"ففي هذا العصر (الأموي) لم نجد قصائد خاصّة في المديح النبوي، حيث كان هذا المديح في الغالب مديحا غير مباشر يأتي في ثنايا قصائد التشيّع، ولولا وجود الكميت لما لقي ذكر رسول الله ﷺ في شعر العصر إلاّ

(1) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي – العصر الإسلامي. دار المعارف- الإسكندرية، مصر، ط7، دت، ص 324.

(2) محمود علي مكّي: المدائح النبوية. ص 62.

ظلالا قليلة، تكاد تكون انقطاعا لما كان عليه المديح النبوي في عصر البعثة النبوية."[1]

فعلا عصر بني أميّة أشبه بكثير بالعصر الجاهلي، فقد بعثت فيه العصبية القبلية من مرقدها، وظهرت حركة الأحزاب السياسية بين مؤيّد للأمويين ومعارض لهم، ولن يختلف الأمر بعد ذلك في زمن الخلافة العباسية عنه في زمن بني أميّة، ذلك أنّ الصّراع المذهبي سيظلّ قائما، ويتحوّل إلى أصحاب الملك العباسيين باعتبارهم الطّرف الفاعل على الصّعيد السياسي.

3 –المديح النبوي في العصر العباسي

لقد أفاد العباسيون من الحركات المناوئة للأمويين ومن الثورات المتواصلة عليهم، فوصلوا إلى السّلطة في الدّولة العربية الإسلامية، وبنوا حكمهم على أسس دينية وسياسية وفق ما يلائم نظرات الفرق المختلفة إلى الخلافة، فقد قاد العلويون (أنصار آل البيت) حركة المقاومة ضدّ الأمويين على أساس أنّهم أحقّ النّاس بالخلافة، وكلا الطّرفين تربطهما القرابة برسول الله ﷺ، العباسّيون من جهة الأصول ممثّلة في عمّه العبّاس، والعلويون من جهة الفروع ممثّلة في فاطمة وعلي والحسين، وكانت هذه حجّة الفريقين في أحقّيتهما بالخلافة، حيث ادّعى كلّ منهما وراثته للنبيّ الكريم بطريق أو بآخر، وممّا مدح به خلفاء بني العبّاس في انتسابهم للرّسول الأمين ﷺ لبس بردته كما قال علي بن المنجّم في المعتزّ:

بـــدا لابسًـــا بُـــرْدَ النـــبيِّ محمّـــدٍ ... بِأحْســـنَ ممّـــا بـــدا البـــدرُ طَالعَـــا

سَمِـــيُّ النـــبيِّ وابـــنُ وارثـــهِ الـــذّي ... بـــهِ استشـــفِعُوا أكْـــرِمْ بـــذلِكَ شـــافِعَا[2]

(1) محمود علي مكّي: المدائح النبوية. ص 87.
(2) المرجع نفسه، ص 90.

و ما دام العصر. العبّاسي طويلا فإنّ فنّ المديح سيشهد تحوّلات كبرى، حتّى نجد فيه من المدائح النبوية الخالصة الكثيرة.

مثل ما نجد مدحا لرسول الله ﷺ في حديث الشّعراء عن الحجّ، فقد كان الشّوق يأخذ بألباب النّاس وقلوبهم إلى رؤية الأماكن المقدّسة التّي عظّمها الله تعالى والتّي شهدت بعثته ﷺ وجهاده ونزول الوحي عليه، وأخذ التعبير عن هذا الشّوق يزداد شيئا فشيئا إلى أن أضحى غرضا فنّيا قائما بذاته، وأصبح من مستلزمات المدحة النبوية.

فكان الشّاعر إذا همّ بأداء الحجّ عبّر عن شوقه إلى الدّيار المقدّسة، وإلى زيارة قبر النبيّ الشّريف، كما فعل بن عبدوس الدهّان إذ يقول:

أتيتُـــكِ راجـــلاً وددتُ أنّـــنِي ملكـــتُ ســـوادَ عيـــني أمْتطيـــهِ

ومَـــالي لا أســـيرُ علـــى المـــآقي إلى قـــبرٍ رســـولُ اللهِ فيـــهِ[1]

و نجد أيضا مهيار الدّيلمي بعد إسلامه ذكر رسول الله ﷺ فقال:

أمِثْـــلُ محمّـــدٍ المصْـــطفى إذا الحكـــمَ ولّيتمُـــوه لبيبَـــا

بعـــدلٍ مكـــانَ يكـــونُ القســـيمَ وفضـــلٍ مكـــانَ يكـــونُ الخطيبَـــا

و ثَبْـــتٍ إذا الأصـــلُ خـــانَ الفـــروعِ وفضـــلٍ إذا الـــنقصُ عـــابِ الحســـيبَا

و صـــــدقٍ بـــــإقرارِ أعْدائِـــــهِ إذا نـــــافقَ الأوليـــــاءُ الكـــــذوبَا

أبـــانَ لنـــا اللهُ نهـــجَ الســـبيلِ بِبِعْثَتِـــــهِ وأرانـــــا الغيُوبَـــــا[2]

(1) محمود سالم محمد: المدائح النبوية حتّى نهاية العصر المملوكي. ص 93.

(2) المرجع نفسه، ص 93.

فمهيار مدح النبيّ الأمين وفضّله على العالمين، وأنكر أن يكون له شبيه في الفضائل الراقية والمثل العليا.

و من الظواهر التّي برزت في هذا العصر تنامي حركة التصوّف وتشعّبها ومغالاة بعض المتصوّفة الذّين أضافوا إلى حركة التصوّف الإسلامية ما أخذوه عن الفلسفات الأجنبية المتباينة والأديان المختلفة، وقد تفاعلت حركة التصوّف مع المذاهب الدّينية الإسلامية، وصاغت لنفسها نظريات دينية مختلفة حول الكون وعلاقته مع الخالق، والطّريقة المثلى للعبادة.

وكان لرسول الله ﷺ نصيب من نظريات المتصوّفة الذّين قالوا بالحقيقة المحمّدية التّي أضحت لازمة في قصائد المديح النّبوي، وتحدّثوا في قصائدهم عن النبيّ الكريم حديثا أغرقوا فيه بالغيبيات، ورفعوه ﷺ فوق مراتب الخلق جميعا وجعلوه مبدأ الوجود كلّه والسّابق إلى الوجود، وبهذا فقد أثرت حركة التصوّف المديح النّبوي، وحلّقت بمدّاح النبيّ الأمين في عوالم غيبية بعيدة.

و إجمالا يمكن القول أنّ المديح في العصر العبّاسي بدأ في صورة ذكر النبيّ الكريم من خلال مدح الخلفاء وإيجاد علاقة تربطهم به ومن خلال فخر العلويين بانتسابهم إليه ﷺ، كما بدا شيء من المديح في القصائد التّي تتحدّث عن العقيدة، وفي حديث الشّعراء عن الحجّ، ومع مرور الزّمن أسفر تطوّر التصوّف عن فتح آفاق غيبية رحبة لشعراء المدائح النّبوية يحلّقون فيها، ثمّ نظمت قصائد كاملة في مدح رسول الله ﷺ.

و قد شهد العصر العبّاسي مراحل مختلفة من تطوّر المديح النّبوي شكلا ومضمونا، ليأتي بعده العصران الفاطمي والأيّوبي حيث يبلغ التصوّف مداه، ويصير بمثابة ظاهرة دينية يكون لها تأثير بالغ على المديح النّبوي، فالدّولة الفاطمية التّي ينسب خلفاؤها أنفسهم إلى عليّ بن طالب كرّم الله وجهه ويدّعون أنّها الدّولة الإسلامية الشّرعية في عصرها، عملت على نشر عقيدتها عن طريق دعاة نشطين، فشارك الشّعراء في عملية الدّعاية هذه

وحمل شعرهم العقيدة الفاطمية، فذكر رسول الله ﷺ جاء في الشّعر الذّي مدح به الخلفاء الفاطميون، لأنّهم يرجعون نسبهم إليه مثلما نجد في شعر الخليفة الفاطمي العزيز بالله، حيث يقول فيه:

أنـــا ابـــنُ رســـولُ اللهِ غـــيرُ مـــدافعٍ تنَقّلْـــتُ في الأنـــوارِ مِـــنْ قبـــلِ آدمِ

ليَ الشّـرفُ العـالي الـذّي خَضَـعَتْ لَـهُ رقـابُ بَـنِي حـوّاءِ مِـنْ كُـلِّ عـالمِ[1]

و ممّا شجّع على انتشار المديح النّبوي واكتماله في هذا العصر (العصر الفاطمي) ظهور الاحتفالات بمولده ﷺ وما استدعته هذه الاحتفالات من شعر ينشد فيها، يمجّد رسول الله ﷺ صاحب هذه الذّكرى وينبّه على قدره السّامي، فظهر فنّ المولديات، وكان الفاطميون يقيمون موالد متعدّدة لرسول الله ﷺ ولعليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، ولفاطمة رضي الله عنها وغيرهم من آل البيت.

و في هذه الأثناء انتشر الاحتفال بالمولد النّبوي بين شرق البلاد العربية الإسلامية وغربها في الوقت الذّي كانت فيه الحروب الصّليبية قائمة، ممّا أدى إلى مزيد من الإقبال على ذكر رسول الله ﷺ، حيث أنّ الغزاة الذّين اتّخذوا من الصّليب شعارا لحملاتهم منتقصين من قيمة الإسلام ومن قدر رسوله ﷺ قوبلوا بدفاع الشّعراء المستميت عن الإسلام ونبيّه بالمدح والإشادة والتعظيم.

و في ظلّ الدّولة الفاطمية بمصر نجد أنّ فكرة الحقيقة المحمّدية مجسّدة وماثلة في المدائح النّبوية، لا سيما في فنّ المولديات إلى أن جاء صلاح الدّين الأيّوبي فقضى على الخلافة الفاطمية وأبطل رسومها وأعيادها، ولم يترك من هذه الأعياد إلاّ المولد النّبوي.

و تطوّر فنّ المدائح النّبوية في المرحلة الأيّوبية، حيث أضحى المديح النّبوي فنّا أدبيا مستقلاّ، يشارك فيه

(1) محمود سالم محمّد: المدائح النبوية حتّى نهاية العصر المملوكي. ص 107.

معظم الشّعراء، وقد تداخل العصر الأيّوبي مع المملوكي، لأنّ معظم الشّعراء الذّين كتبوا في المديح النّبوي عاشوا شطرا من حياتهم في دولة بني أيّوب وشطرا منها في دولة المماليك، فانتشر فنّ المديح النّبوي في عصر المماليك واتّسع واتّضحت معالمه، وأضحت له تقاليده وأصوله، وظهر الشّعراء الذّين اشتهروا به وأجادوه، حيث شغلت المدائح النّبوية حيّزا كبيرا في دواوين الشّعراء إلى أن استقلّت بدواوين خاصّة.

لقد شهد العصر المملوكي أحداثا سياسية كبيرة، حيث يرجع لها الفضل في تهيئة الظّروف المناسبة لانتعاش فنّ المديح النّبوي، فما شهده العصر المملوكي من تدخّل أجنبي في البلاد العربية وكذا الحروب الصّليبية وحملات التبشير هو ما أدّى إلى تقوية صلة العبد بربّه وزيادة التمسّك بدينه، وقدوته في كلّ ذلك محمّد ﷺ.

و هكذا يظهر بوضوح أنّ فنّ المديح النّبوي قد تكامل في هذا العصر وانتشر بسبب الواقع المتردّي للمجتمع العربي الإسلامي، وكان في ذلك الوقت وسيلة تعبير عن الآلام والآمال، وفضاء لطمأنينة النفس.

في الحقيقة إنّ الحديث عن المدائح النّبوية في هذا العصر يطول لو أردنا التعرّض إلى كلّ شعراء المديح على مدى القرن السّابع للهجرة، لكن من بين هؤلاء الشّعراء من يستحقّ منّا وقفة خاصّة ويستوجب التنويه به، لعمق تأثيره على فنّ المدائح النّبوية في العصور اللّاحقة، إنّه **شرف الدين البوصيري** في بردته المشهورة.

إذ كان للإمام شرف الدين البوصيري عظيم الأثر في نشر وذيوع المدائح النّبوية في المشرق والمغرب معا، وللبوصيري قصائد عديدة في المديح النّبوي، منها ما نظمه قبل توجّهه إلى الحجّ وأهمّها معارضته لكعب بن زهير، ولاميته في الردّ على أهل الكتاب، وقد ختمها بمدح الرّسول ﷺ، وبالتعبير عن شوقه لزيارته، ومنها ما نظمه في أثناء رحلته للحجّ وأمام الضّريح النّبوي، ومنها ما نظمه أثناء أدائه للمناسك، وبعد عودته إلى مصر نظم أشهر مدائحه على الإطلاق وهما قصيدتان همزيته التّي سمّاها " أمّ القرى في مدح خير الورى " وبردته التّي دعاها "الكواكب الدرّية في مدح خير البريّة".

أمّا الهمزية فتبلغ أربعمائة وخمسين بيتا، والشّاعر يبدؤها بغير مقدّمات في التحدّث عن فضل رسول الله، ومطلعها:

كيْـــفَ ترْقَـــى رُقيّـــكَ الأنبيـــاءُ يـــا سَمَـــاءً مـــا طاولتْهـــا سمـــاءُ[1]

تعدّ الهمزية من أجمل قصائد المديح النّبوي، وفيها يعرض الشّاعر جانبا من كبيرا من السّيرة النّبوية، ومع ذلك فإنّها ليست نظما تاريخيا باردا، بل نستشعر فيها دائما حرارة الإخلاص واتّقاد العاطفة، فهي تجمع بين القصصية والغنائية في مزيج رائع.[2]

أمّا البردة فقد نظمها الشّاعر بسبب إصابته بفالج أبطل يصنعه، فنظم هذه القصيدة مستشفعا بها إلى الله وطالبا منه العافية، وحينما قام رأي رسول الله ﷺ، فمسح وجهه بيده المباركة، وألقى عليه برده، وانتبه فإذا به يرى نفسه سليما معافى.[3]

و تتألّف البردة من مائة وسبعة وستّين بيتا موزّعة على عشرة فصول ومطلعها:

أمِـــنْ تـــذكُّرِ جـــيرانٍ بـــذِي ســـلَمِ مزجْـتَ دمْعًـا جَـرى علـى مُقلـةٍ بـدمِ

إذ تعدّ البردة من خير ما نظم في المديح النّبوي، إذ بلغ فيها البوصيري من صدق التعبير ما ارتفع بها إلى مستوى ما يقاربه سائر شعره، وهذا ما ضمن للبردة شهرة وذيوعا لم تبلغها أيّ مدحة نبوية أخرى على كثرة ما نظم في عصرها وبعد ذلك.

هكذا لاحظنا مسيرة تطوّر فنّ المديح النّبوي عبر العصور المذكورة بدء بعهد الرّسول الكريم ﷺ، حيث مدحه الصّحابة بقصائد أضحت مثالا يحتذى للشّعراء فيما بعد، ثمّ العصر الرّاشدي والأموي ثمّ العصر العبّاسي،

(1) محمد بن سعيد البوصيري: الهمزية في مدح خير البرية. (مخطوط)، جامعة الملك سعود،1957، ص 01.
(2) محمود علي مكّي: المدائح النبوية. ص 112.
(3) زكي مبارك : أحمد شوقي. دار الجيل، بيروت – لبنان، ط1، 1988، ص 159.

ثمّ العصر الفاطمي والأيّوبي الذّي تكاملت فيه المدحة النّبوية ووصلت إلى العصر المملوكي على جانب كبير من النّضج الفنّي واستقرّت وشاعت كثيرا، وظهرت فيه الدّواوين المنفردة الكثيرة، حيث حاول النقّاد وضع قواعد وأصول ثابتة لها.

4 –المدائح النّبوية في العصر الحديث

لقد ظلّت شخصية الرّسول ﷺ ملهمة للشّعراء حتّى اليوم، وقد لاحظنا كثرة المدائح النّبوية عبر العصور المتعاقبة حتّى القرن التّاسع، وقد ازداد إقبال الشّعراء على المدائح النّبوية في العصور التالية وخاصّة طوال العصر العثماني، وهو عصر تراجعت فيه العلوم فأصبح همّ الأدباء هو تقليد من سبقهم، أو معارضتهم، أو التعليق على آثارهم، ولذلك فقد كثرت خلال هذا العصر المعارضات والتشطيرات، وكلّها محاولات تدلّ على جفاف القرائح.

و قد بقيت بردة البوصيري هي النموذج الأعلى للمديح النّبوي، حيث عارض شعراء كثيرون بردة البوصيري واستخدموا في معارضتها فنّا جديدا آنذاك هو فنّ البديع، واستمرّت بردة البوصيري ومعارضتها مصدرا لكلّ من كتب في المدائح النّبوية في العصر الحديث، ويأتي في طليعتهم محمود سامي البارودي رائدا من روّاد الإحياء.

محمود سامي البارودي: لقد طال شرف المدح النّبوي رجال الأدب وأخذ عقولهم وألهم قرائحهم، وها هو رجل السّيف والقلم يبرهن عن حبّ خير الأنام ويصفه ويمدحه في شعره، فإذا كان البوصيري قد خلّص بردته من قيود عصر الانحطاط، فإنّ البارودي قد خلّص الشّعر العربي كلّه ممّا كان فيه من وهن وضعف وبديع متكلّف.

لقد قام البارودي بمعارضة جديدة لبردة البوصيري في القصيدة التّي سمّاها " كشف الغمّة في مدح سيّد الأمّة" وهي مطوّلة تبلغ نحو أربعمائة وخمسين بيتا من الشّعر، حيث حاول فيها تخليص الشّعر ممّا كان يثقله من زخارف البديع اللّفظي، وذلك بمعارضة النّماذج الجيّدة للشّعر القديم، وقد حفظ لنا ديوانه معارضات للنّابغة

الذّبياني وعنترة وأبي نوّاس والمتنبّي وغيرهم، وكان يحسن ما يعارضه من شعر، فاختياره لبردة البوصيري ومعارضته للبردة تدلّ على اقتناعه بجودتها، ومطلع قصيدته في المعارضة:

يـــا رائـــدَ الـــبرقِ يمِّـــمْ دارةَ العلَـــمِ واحْـدُ الغمـامَ إلى حـيٍّ بِـذي سـلَمِ[1]

نرى في هذا المطلع أنّ الشّاعر ذكر فيه المواضع الحجازية، وإهداء التحيّة إليها مع الرّيح والبرق، ثمّ يمضي في قصيدته ليصل إلى ذكر نسيب، الذّي لا يخرج فيه أيضا عن التقاليد الشّعرية القديمة، إذ يقول في آخر القصيدة:

صَـــدَرْتُها بنَســـيبٍ شـــقَّ باطنُـــه عـــنْ عِفّـــةٍ لم يُشِـــنها قـــوْلُ مـــتَّهِمِ.

لم أتّخـــذه جُزافـــا بـــلْ ســـلكْتُ بِـــهِ في القـــولِ مسْـــلَكَ أقـــوامٍ ذوي قـــدَمِ[2]

نلاحظ بأنّ الشّاعر يعتذر عن ذلك النّسيب الذّي لم يفرضه عليه إلاّ الالتزام بالتقاليد الشّعرية الموروثة، خشية منه أن يتّهم بإساءة الأدب، فيقول: " إنّه غزلا عفيفا لا مطعن فيه عليه".[3]

إذ لا يختلف البارودي عن المادحين السّابقين في تتبّعه لحياة الرّسول ﷺ منذ المولد، فيذكر حادثة شقّ الصدر في طفولته، ثمّ يقوم بتعداد المعجزات النّبوية ثمّ حادثة الإسراء والمعراج، ثمّ الهجرة إلى المدينة، ثمّ انتقاله بعد ذلك إلى الحديث عن غزوات الرّسول وسراياه.

"و تمتاز قصيدة البارودي بالترتيب لأنّه ساير الحوادث وفقا لما ذكر ابن هشام ولا كذلك شوقي والبوصيري، فقد أطاعا الخواطر الطّارئة وقدّما بعض الحوادث على بعض، وتكلّما عن النبيّ ﷺ وعن معجزاته

(1) محمود علي مكّي: المدائح النبوية. ص 142.
(2) المرجع نفسه، ص 143.
(3) نفسه، ص 143.

مثلا قبل أن يذكر الميلاد".[1]، هكذا إذن نجد قصيدة البارودي لا تكاد تختلف في شيء عن سائر المدائح النّبوية في مضمونها ومحتواها.

أحمد شوقي: إنّ من يتأمّل دواوين شعراء خطاب البعث والإحياء أو ما يسمّى بشعراء التيّار الكلاسيكي او الاتّجاه التراثي، فإنّه سيلقى مجموعة من القصائد في مدح الرّسول ﷺ تستند إلى المعارضة تارة أو الإبداع والتجديد تارة أخرى.

و من الشّعراء الذّين برعوا في المديح النّبوي في العصر الحديث، نجد أحمد شوقي شاعر مصري من أعظم شعراء العرب في جميع العصور لقّب بأمير الشّعراء ولد في القاهرة عام 1868 من أب كردي وأمّ من أصول تركية، وممّا كتبه أحمد شوقي في مدح الرّسول ﷺ قصيدته المشهورة " نهج البردة " يحدو فيها حدو البارودي في معارضة الشّعراء القدامى في إبداع القصائد المدحية التّي تتعلّق بذكر مناقب النبيّ ﷺ وتعداد معجزاته وصفاته المثلى.

لكنّ البوصيري تفوّق عليهم تفوّقا واضحا في قصيدته الهمزية والميمية، وعلى طريقته في المعارضات حاول أحمد شوقي أن يدخل عناصر وأفكارا جديدة.[2]، أمّا الهمزية فافتتحها بقوله المشهور:

وُلِـــد الهُـــدى فالكائنـــاتُ ضـــياءُ وفـــمُ الزّمـــانِ تبسّـــمٌ وثنـــاءُ[3]

و هي تقع في اثنين وثلاثين ومائة بيتا وقد تأثّر كثيرا ببردة البوصيري، أمّا نهج البردة فتقع في تسعين ومائة بيتا ومطلعها:

ريمٌ علـــى القـــاعِ بـــين البـــانِ والعلـــمِ أحـلّ سـفكَ دمِـي في الأشـهرِ الحُـرُمِ[4]

(1) زكي مبارك : أحمد شوقي. ص 181.

(2) شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث. دار المعارف، القاهرة، دط، 2010، ص126.

(3) أحمد شوقي : الشّوقيات. ج1، دار العودة، بيروت، ط1، دت، ص34.

(4) المرجع نفسه، ص 190.

و يبدأ القصيدة بمقدّمة غزلية، ومن الواضح أنّ الشّاعر لم يأت بها إلاّ تقليدا للشّعراء السّابقين، ثمّ يشرع شوقي في هذه القصيدة في وصف الرّسول ﷺ متأثّرا بأفكار الصّوفية حول الحقيقة المحمّدية، فالرّسول هو غاية الله من خلقه، وهو صاحب الحوض يوم القيامة، ثمّ يقصّ الشّاعر بعد ذلك بعض ما يذكر من معجزات الرّسول ﷺ منها تفجّر الماء من بين أصابعه، وتظليل الغمامة له، ثمّ يصل شوقي إلى ذكر معجزة القرآن الخالدة المتجدّدة على حين أنّ سائر معجزات الأنبياء قد انقضت بانصرام أيّاهم، وينتدب شوقي بعد ذلك للدّفاع عن الإسلام إزاء من تهجّموا عليه من مبغضيه من المستشرقين.

هذه باختصار هي نهج البردة التّي هي عبارة عن نظرة متأمّلة لشخصية الرّسول ﷺ ومكانه من التّاريخ، باعتباره مبعوثا مبلغا لرسالة السّماء وباعتباره قائدا وإنسانا.

ليختم شوقي قصيدته بدعاء فيه التوسّل والرّجاء، فيدعو الله اللّطيف أو يرجوه أن يلطف بالمسلمين، ويشفع عند الله لهم برسول الله وحبيبه المصطفى ﷺ، أو يكرّر الدّعاء ليؤكّد أنّ الله قد أحسن للمسلمين فاختار من بينهم رسولا بعثه لهم بالرّسالة، ويطلب من الله أن يتمّم هذه الرّسالة وهذا الفضل على المسلمين وأن يمنحهم حسن الختام كما منحهم من قبل حسن البداية.

المبحث الثالث: المديح النّبوي في الجزائر

تمثّل المدائح النّبوية في الشّعر الجزائري جزء من التّراث العربي الإسلامي الذّي ظهر في الأدب العربي، وانتشر منذ زمن طويل، وقد ارتبطت نشأة المدائح النّبوية في الجزائر بالفكر الصّوفي والنّوازع الدّينية، وذلك لظروف خاصّة وعوامل مختلفة منها: محنة الاستعمار التّي حرّكت قرائح الشّعراء وأجّجت عواطفهم الدّينية.

و يمكن الحديث عن المديح النّبوي في الشّعر الجزائري من خلال التعرّض إلى مرحلتين أساسيتين: مرحلة المديح النّبوي في الشّعر الجزائري القديم، ومرحلة المديح النّبوي في الشّعر الجزائري الحديث:

1- مرحلة المديح النّبوي في الشّعر الجزائري القديم:

يمكن ردّ بداية انتشار المديح النّبوي في الجزائر إلى عهد الأتراك الذّي يعود له الفضل في انتشار هذا الفنّ، والتقرّب به إلى الله تعالى، وهو العصر الذّي عمّ فيه الجهل وغلب عليه روح الجمود في الأدب وانتشرت الخرافات والأوهام، فكثر الزّهد والتقشّف، ولجأ النّاس إلى الدّين يحتمون به، يعيشون في ظلّه هروبا من المظالم التّي سلّطت عليهم ووجد الشّعراء جوّا ملائما وفضاء متاحا لكتابة الشّعر عن الرّسول ﷺ منهم من كتب قصّة الرّسول ﷺ كاملة منذ مولده إلى وفاته، ومنهم من أرّخ لغزواته وتحدّث عن صحابته وأهل بيته وآثاره وفضائله.

كما كثر التوسّل بالرّسول ﷺ وبالصّحابة وبالأولياء في هذا العصر خاصّة بعد أن أخذت الدّول الغربية وفي مقدّمتها إسبانيا تشنّ حملاتها على سواحل الجزائر، وتحتلّ بعض المدن فيها كوهران.[1]

و إلى جانب ذلك محنة الاستعمار الفرنسي، حيث نظر شعراء الجزائر إلى المستعمر الفرنسي نظرة الغازي الغاصب، فاتّخذوا من التّاريخ الإسلامي وأحداثه مرجعا لحديثهم، واعتبروه وسيلة فعّالة لإقناع النّاس بحتمية الجهاد

(1) عبد الله ركيبي : الشّعر الدّيني الجزائري الحديث. ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، دط، 2009، ص ص 52، 53.

وتحرير البلاد من المستعمر، وبذلك شقّ الشّعر الدّيني الجزائري طريقه وحطّ رحاله، وتمكّن من قصائد الشّعراء بفضل هذه الدّوافع والنّوازع، فانتشرت المدائح الدّينية والمولديات والتغنّي بالمناسبات الدّينية المختلفة بشكل واسع، وقوي ظهور هذا الغرض الذّي سيطر على الحياة الفكرية السياسية والثقافية، وترك المجال مفتوحا أمام هذا اللّون من الشّعر، فأخذ الشّعراء يلتفتون إلى عصر الرّسالة يستنجدون به من هذا الظّلم الذّي سلّط عليهم، فوجدوا في المدائح النّبوية الرّحاب التّي يمكن أن يسكنوا إليها ويطمئنّوا فيها، وأنشدوا تلك القصائد وكأنّهم يرثون الحالة التّي وصلت إليها البلاد، وهم في مدحهم للنبيّ ﷺ إنّما يعبّرون عن الواقع الذّي لا يجدون فيه ما يبعث على التفاؤل، فعادوا إلى النبوّة يستلهمون منها ويستنجدون بها.[1]

و قد نظم الشّعراء القصائد في مختلف المعاني الدّالّة على حبّهم للوطن، وعبّروا عن حسرتهم للحرّية المفقودة ومقتهم للاستعمار ورفضهم له، إذ أنّ الدّاعي الذّي دفع الشّعراء إلى المدائح هو تكالب الدّول الأوربية الاستعمارية على العالم العربي، وعلى الجزائر بوجه خاصّ.

و ممّا ساعد أيضا على انتشار هذه المدائح في الجزائر ظهور الحركة الصوفية التّي استمتعت بحياة الدّعة والاطمئنان، بعد أن كانت في وقت معيّن قد ذاقت ويلات الاستعمار وعملت على مقاومته لكنّها فشلت وبعد فشلها أخلدت إلى الرّاحة وركنت إلى الزّوايا تشجّع من يمدح الرّسول ﷺ أو يمدح أبناءه.

فانتشر شعر المديح بالصّورة التّي كان عليها في عصور الانحطاط والجمود بحيث بدا التقليد فيه واضحا على مستوى الموضوع والأسلوب، ويمكن التمييز بين نوعين من المدائح في الشّعر الجزائري الحديث، النّوع الأوّل هو ما كان امتدادا للتراث القديم في هذا الخصوص، وهو يرتبط أساسا بالنّظرة الصّوفية إلى حدّ كبير، أمّا النّوع الثاني فهو الذّي اتّخذ من مدح الرّسول ﷺ مبدأ للدّعوة إلى النهوض واليقظة، وذلك بعد أن تطوّرت الحياة الفكرية والأدبية

(1) عبد الله ركيبي، الشّعر الدّيني الجزائري الحديث. ص 54.

والسياسية.[1]

لذلك اتّخذ الشّعر الدّيني من الابتهال والاستعانة بالله ومدح النبيّ ﷺ موضوعات لقصائده، وأصبح الشّاعر الجزائري يبثّ نظرته ووعيه الفلسفي عبر مدائحه للنبيّ ﷺ متأثّرا في ذلك بالثقافة الدّينية المتداولة في المساجد والزّوايا والطّرق المنتشرة في الجزائر.

كما عبّر الشّاعر الجزائري أيضا عن شوقه ولهفته إلى الأماكن المقدّسة ليخلص إلى الموضوع الرّئيسي الذّي يتمّ فيه استحضار الرّسول ﷺ وذكر عظمته من جميع النّواحي، توسّلا به وطلبا لشفاعته وذكرا لصفاته الخَلقية والخُلقية وصولا إلى الخاتمة التّي تنتهي بالدّعاء والصّلاة عليه، فالشّوق إلى البقاع المقدّسة ووصفها والحنين إليها ومدح الرّسول ﷺ أغراض قديمة عند الجزائريين.[2]

فالرّبط بين الرّسول ﷺ وبين الحديث عن الأماكن المقدّسة كان من أشكال القصيدة باعتبار أنّ الحديث عن مكّة أو المدينة هو حديث عن الرّسول ﷺ، فمن خلال ذكرها يتخلّص الشّاعر لمدح الرّسول ﷺ وهو يتشوّق للمدينتين لأنّهما ارتبطتا في ذهنه بحياته ﷺ وهجرته ونبوّته ورسالته السّماوية.

و في هذا السياق نجد في قصيدة لم يتم نسبتها إلى صاحبها ذكرها ابن عمّار في الرّحلة، وابن سحنون في الأزهار الشّقيقة، مدحا للمدينة المنوّرة (طيبة)، وهي القصيدة التّي أكثر الكتّاب من تداولها والنّسج على منوالها لجودتها وصدقها، ومنها هذه الأبيات:

دارُ الحبيـــــبِ أحـــــقُّ أن تهواهَـــــا وتحـــــنُّ مـــــن طـــــربٍ إلى ذكراهَـــــا

و علَـى الجفـونِ مـتى هممـتَ بـزورةٍ وظللـــتَ ترتـــعُ في ظـــلالِ ريّاهَـــا

(1) عبد الله ركيبي، الشّعر الدّيني الجزائري الحديث. ص 55.

(2) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي. ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 246.

معـــنى الجمـــالِ مُـــنى الخـــواطرِ والـــتّي سـلبتْ عقـــولَ العاشـــقينَ حُلاّهَـــا

لا تحســـبُ المســـكَ الـــذكيَّ كتُرْبِهَـــا هيهـــاتَ: أيـــنَ المســـكُ مـــن ريّاهَـــا

طابـــتْ فـــإنْ تبغِـــي التطيُّـــبَ يـــا فَـــتَى فـــأدِمْ علـــى السّـــاعاتِ لـــثمَ ثراهَـــا[1]

و قد أورد أحمد بن محمّد المقري التلمساني في كتابه (نفح الطّيب) نماذج أخرى من المديح النّبوي نظمها الشّاعر بن محمّد العطّار الجزائري إذ يقول في أبيات طويلة:

أنـــوارُ أحمـــدَ حســـنُها يـــتلألأُ المصـــطفى بحْلـــى الكمـــالِ يحـــلّأُ

الشّـــمسُ تخجـــلُ وهـــوَ منهَـــا أضـــوأُ النُّـــورُ منـــه مقسّـــمٌ ومجـــزّأُ

قـــدْ زانَ ذاكَ النّـــورُ إبراهيمَـــا صـــلُّوا عليـــهِ وســـلّمُوا تســـليمَا

صـــلُّوا علـــى المســـكِ العتيـــقِ الأطيـــبِ صـــلُّوا علـــى الـــوِردِ المعـــينِ الأعـــذبِ

صـــلُّوا علـــى نـــورٍ ثـــوى في يثـــربِ صـــلُّوا عليـــه بمشـــرقٍ ومغـــربِ

مـــازالَ في الرُّســـلِ الكـــرامِ كريمَـــا صـــلُّوا عليـــه وســـلّموا تســـليمَا[2]

وللشّاعر تسديس آخر لم يرتّبه على حروف المعجم، لكنّه جعل رويّ الشّطرين الأخيرين حرف اللاّم، ومطلعه [من الكامل]:

نـــورُ النـــبيِّ المصـــطفى المختـــارِ أرتّـــبُ محاســـنَه علـــى الأنـــوارِ

مـــرآهُ يُخجـــلُ بهجـــةَ الأقمـــارِ نـــورٌ ينَجّـــي مـــن عـــذابِ النّـــارِ

(1) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي. ص 245.

(2) أحمد بن محمّد المقري التلمساني: نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب وذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب. مج 10، المعرفة الدّولية للنّشر والتوزيع، الجزائر، ط1، دت، ص 315.

قـــد زانَ ذاكَ النّـــورُ إسمـــاعيلَا صـــلُّوا عليـــه وســـلِّموا تســـليمَا

صـــلُّوا علـــى البـــدْرِ المشـــرقِ صـــلُّوا عليـــه بمَغـــربٍ ومشـــرِقِ[1]

و له قصيدة رائعة في مدح المصطفى ﷺ بيّن فيها بعض صفاته قائلا فيها:

ســـادَ الأنـــامَ المصـــطفَى بكمالِـــه فإليْـــهِ أجْنـــاسُ السِّـــيادةِ تُنســـبُ

الشّـــمسُ يغـــرُبُ نورُهـــا وضـــياؤُها أبـــدًا ونـــورُ المصـــطفَى لا يغـــرُبُ

اللهُ أرســـــلَهُ إليْنَـــــا رحمـــــةً فبِجاهِـــهِ عنّـــا الرِّضَـــا لا يُحْجَـــبُ[2]

ومن شعراء الجزائر الذّين اشتهروا بكتاباتهم في المديح النّبوي نجد **عبد الكريم الفكّون** ابن مدينة قسنطينة ولد فيها سنة (988 هـ- 1580م) وبعد حياة حافلة بالعلم والعمل توفّي في المدينة نفسها، وعاش في أسرة كانت تتمتّع باحترام واسع لتحالفها في البداية مع العثمانيين، كان أميرا لركب الحجّ الجزائري مدّة طويلة، ونظم ديوانا في مدح الرّسول ﷺ وفي حياته عموما.

وقد التزم الفكّون فيه طريقة صعبة، فجعل مبدأ كلّ سطر حرفا من حروف هذه الجملة " اللهمّ اشفني بجاه محمّد، آمين" وجملة ذلك خمسة وعشرون حرفا، ففي كلّ قصيدة مثلها أبياتا، ففي قافية الهمزة مثلا خمسة وعشرون بيتا، وكذلك في قافية الباء، وهكذا إلى آخر حروف المعجم، ولنتصوّر كم من أبيات.

و كان الفكّون قد نظم هذا الدّيوان بعد أن أصيب بمرض غريب ألزمه الفراش سنة، وشلّ نصفه الأيسر ولم يكن يرجو برءا منه فشفاه الله، وكان ذلك سنة 1031 هـ.[3]

(1) أحمد بن محمّد المقري التلمساني: نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب وذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب. ص 319.

(2) المرجع نفسه، ص 324.

(3) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج2، ص 246.

فيقول في قافية الهمزة:

أَبــدْراً بــدَتْ في الخــافقِين ســعودُه ونــورًا بــه الأكــوانُ أضْــحتْ تــلألأُ

لــهُ في العُلَــى أعْلــى العُلــى رُتْبــةً وفي مراقِــي ذُرَى العِرفــانِ قــدمًا مُبــوَّأ

أضــاءَ وجــودُ الكائنَــاتِ ببعثِــهِ وطلعتُــهُ الغَــرَّا مــن الشّــمسِ أضْــوَأُ

هــوَ الغيــثُ أحْيَــا الأرْضَ بعْــدَ مماتِهَــا وخــاتمُ كــلِّ الرّســلِ تمّــت مبْــدَأُ

يــرى ذا لــواء الحمــد في الحشْــر إذ غــدا فكينــا وفي الأحْــوالِ للخلْــقِ ملْجــأُ

بمولــدِه لــلأرْضِ فخْــرٌ علــى السَّــما وحــقٌّ لهــا بــالفخْر وهــو المنبَــأُ[1]

وله قصائد أخرى في المديح النّبوي مرتّبة على حروف الهجاء، مضمّنا كلّ حرف من الحروف حروفا تقرأ من أوّل كلّ بيت في الحرف، فإذا اجتمعت إلى بعضها تؤلّف "اللهمّ اشفني بجاه محمّد آمين".

ولو جمعنا القصائد التّي نظمها الفكّون في المديح النّبوي بمناسبة مرضه لتجاوزت سبعمائة بيت، "و هذا عدد كاف لنسمّي هذه المجموعة ديوانا... ولم يسمّ الفكّون شعره ديوانا، وإنّما سمّاه قصائد، أمّا الذّي أطلق عليه الدّيوان فهو العيّاشي."[2]

فقد كثر المدّاحون الجزائريون في العهد التّركي الذّين نظموا قصائد يمدحون بها الحبيب ﷺ إلى جانب أحمد المقري وعبد الكريم الفكّون، نذكر منهم أحمد بن عمّار الجزائري الذّي كان هو الآخر من نوابغ عصره وأفاضل مصره، وهبه الله حظّا من سيلان القلم وطلاقة اللّسان، عاش في القرن الثاني عشر للهجرة، قام بعدّة رحلات إلى الحجاز سجّلها في كتابه المسمّى " نخلة اللّبيب بأخبار الرّحلة إلى الحبيب "، وله ديوان في المدائح النّبوية.

(1) أبو القاسم سعد الله: عبد الكريم الفكّون داعية السلفية. دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1986، ص 207.
(2) المرجع نفسه، ص 160.

و قد جرت عادة بلاد الجزائر حرسها الله من الفتن أنّه إذا دخل شهر ربيع الأوّل انبرى من أدبائها وشعرائها من إليه الإشارة وإليه معول إلى نظم القصائد المديحيات والموشّحات النّبويات وتلحينها على طريق الموسيقى بالألحان المعجبة، وقراءتها بالأصوات المطربة، ليصدحوا بها في المحافل العظيمة والمجامع المحفوفة بالفضلاء والرّؤساء النظيمة من المساجد والمكاتب، وهم في أكمل زينة وأجمل زيّ تعظيما لهذا الموسم الذّي شرّف الإسلام واحتفالا بمولده ﷺ.

كما قال أحمد بن عمّار: " كلّما دخل شهر ربيع الأوّل شرع أدباء وشعراء الجزائر في نظم القصائد والموشّحات النّبوية، ثمّ يلحّنونها بالألحان المعجبة ويقرأونها بالأصوات المطربة ويصدحون بها في المحافل الكبيرة والمجامع التّي يحضرها الفضلاء والعلماء والرّؤساء في المزارات والزّوايا والمكاتب، وكان النّاس يلبسون لذلك أجمل ثيابهم ويتطيّبون تقديرا للمولد الشّريف."[1]

و من شعراء المديح النّبوي في الجزائر أيضا **المانجلاتي** الذّي عاش في القرن الحادي عشر الهجري، الذّي يعدّ من عشّاق الشّمائل المحمّدية، له ديوان في المدائح النّبوية " تزري بالأزهار الندّية "، ونجد إلى جانبه **الأكحل بن خلوف** وأبو عبد الله محمّد المغوفل، وكلاهما اشتهر في نظم قصائد المدائح النّبوية، حتّى أصبحت تغنّى وتروى على مختلف العصور، ونذكر كذلك أحد شعراء مدينة مستغانم الذّي نظم هائية في المديح النّبوي تعرف بهائية المستغانمي.

2 – المدائح النبوية في الشّعر الجزائري الحديث:

لقد حظي شعر المديح النّبوي بمساحة واسعة في الأدب الجزائري عبر العصور المتلاحقة، إلى أن أصبح فنّا

(1) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 247.

مستقلاّ عن الأغراض الشّعرية الأخرى، ولقد ازداد اهتمام شعراء الجزائر في العصر الحديث بنظم قصائد المدائح النّبوية، فأظهروا حاجتهم إلى الالتصاق بالسّيرة النّبوية ومدح صاحبها عليه أفضل صلاة وأزكى تسليم حتّى لا يفقدوا هويّتهم وانتسابهم إلى الدّين ولا ينسوا تاريخهم الزّاهر، إذ لا يخلو عصر من العصور ولا زمن من الأزمنة ولا أمّة من أمم الإسلام ولا شعب من شعوبها من مدّاح كثر لرسول الله ﷺ لا يحصيهم عدّ ولا يحيط بهم مدّ.

و لو جمعنا مدائح شعراء العصر الحديث في الجزائر لبلغت عدّة مجلّدات، فمهما اشتهر هؤلاء في مدح الحبيب ﷺ لظلّوا مقصّرين في حقّه، كما قال القائل:

أرى كـلَّ مـديحٍ في النـبيِّ مقصّـرَا وإنْ بـالغَ المثـني عليـه وأكْثَـرَا

إذا اللهُ أثْـنى بالّـذي هـوَ أهلُـه عليـه، فمَـا مقـدارُ مـا تمْـدحُ الـورَى

لقد تناولت هذه المدائح النّبوية وصف شمائل وصفات النبيِّ الكريم ﷺ والحديث عن سيرته ومدح أخلاقه قصد التبرُّك به والتقرّب إلى الله تعالى، ولعلّ من أبرز الذّين اشتهروا بمنظوماتهم في المدائح النّبوية في الشّعر الجزائري الحديث :

1 – محمد بن عودة بن سليمان المستغانمي: ولد في مدينة مستغانم بالجزائر، وتوفّي في مدينة تلمسان، يصفه د. عبد الله الركيبي في كتابه " الشعر الديني الجزائري الحديث " بأنّه المتصوّف الزّاهد، الذّي توزّع شعره بين المدائح النّبوية أو مدائح وتوسّلات، حيث يتعرّض الشّاعر مثلا في قصيدة واحدة لأشياء كثيرة تتعلّق بالمدائح النّبوية، منها جمال الرّسول ﷺ الطّاهر وصفاته النّفسية، كما يتعرّض فيها إلى معجزاته ﷺ وإلى التوسّل به، فيقول:

يـا سـائلًا عـن جمـالٍ كـانَ لي وطنَـا ولمْ أزَلْ أجْتليـهِ وهـوَ مـا بَطَنَـا

حرّكْـتَ مـنّي وُلُوعًـا كـانَ مُسْـتَتِرًا ولمْ أزَلْ أخْتَفيـهِ وهـوَ يعْلِنُنَـا

لكنّهـا صـولةُ الأقْـدارِ قـدْ حكمَـتْ وكلُّنـا تحـتَ قهـرِ الحُسْـنِ قـدْ سـكَنَا[1]

ففي هذه القصيدة يبدأ الشّاعر محمد بن سليمان بمقدّمة فيها حديث عن جمال الرّسول ﷺ في أسلوب أشبه ما يكون بالغزل الصّوفي، فهو يتساءل عن هذا الجمال الذّي تهفو إليه نفسه، ثمّ ينهي هذه المقدّمة فيوجّه الخطاب للرّسول ﷺ بعد أن عبّر عن حبّه وشوقه إليه ولكن في غموض، فهو يصفه بأنّه "عين العيون"، ويربط في مدحه بين هذا وبين المدينة المنوّرة، فيتغزّل بها، لأنّها المدينة التّي شعّت منها الرّسالة فيقول:

فأنـتَ عـينُ العيـونِ منـكَ قـدْ بسـطَتْ أيْـدِي العنايـةِ بِشْـرًا فيـكَ مخْتزَنَـا

و لم تـزلْ فيـكَ عيْنًـا وهـي مُكْثِـرةٌ لكنّهـا أوْجُـهٌ للعـيْن فيهـا سـنَا

شمائـلُ الحسْـنِ أمْ شُمُـولُ مطْرِبَـةٍ قـدْ أسْـكَرَتْ بشـذاها الأُذنَ والوَطَنَا[2]

ومن هنا أخذ الشّاعر يمهّد للحديث عن الشّمائل المحمّدية التّي يتغزّل بها وبجمالها، ولا يذكر اسم النبيّ ﷺ إلاّ بعد أن يكون قد استوفى شوقه، وعبّر عن حبّه وشوقه إليه، ثمّ ينتقل للحديث عنها، ويذكر بأنّها شمائل تنعش النّفس، وتشفي المريض فيقول:

نِعْـمَ شَمائـلِ خـيْرِ الرُسْـلِ تنْعِشُـنَا طـوْرًا وتُسْـكرُنَا صـحْوًا بعْـدَ فنَـا

علّقـتُ منـذُ الصِّـبا روحـي بهَـا ولمْ أزلْ أرْتَقِـي معْـنى بهـا اسْـتَكَنَا

و هـاكَ منْهـا فُنُونًـا للعليـلِ دَوَا وللعشـيقِ هـوًى يطْـوي الطّريـفَ لنَـا

فَنِـلْ بهـا وطـرًا واذْفَـعْ بهـا كـدرًا واعْـدُدْها مـدّخرًا لشـدّةٍ وضـنَى[3]

وبعد هذه المقدّمة الطّويلة يصل الشّاعر إلى الغرض من القصيدة وهو مدح صفات النبيّ ﷺ، فيتحدّث في

(1) عبد الله ركيبي : الشّعر الدّيني الجزائري الحديث، ج1، ص ص 56، 57.
(2) المرجع نفسه، ج1، ص 57.
(3) نفسه. ج1، ص 57.

الجزء الأوّل عن شمائله وأخلاقه الكريمة، ثمّ ينتقل إلى الحديث عن صفاته الجسمية وجمال الصّورة الظاهرة حتّى يجمع بينهما معا، وما هذه الصّفات إلاّ نفسها المذكورة في السّيرة النّبوية، فهو يصف مثلا عيني النبيّ ﷺ وصفا لا يختلف عن الأوصاف التّي عرفت في المدائح أو في السّير، فهو يصفها بالدّعج فيها حور، فيقول:

دعْـجُ العيـونِ الـتِّي في طرفِهـا حـوَرٌ للّـــهِ كـــمْ أسْـــدَتْ لنَـــا مِنَنَـــا

فيصف الشّاعر العين والأنف والحواجب ا، كلّها أوصاف مستمدّة من سيرة الرّسول ﷺ، ولم يكتف الشّاعر بوصف أخلاق الرّسول ﷺ وصفاته، وإنّما أضاف باختصار حديثا عن بعض علامات النبوّة كالخاتم والغمامة، وهي خاصّية في قصائد المديح مبالغة في إظهار نبوّته، فيقول:

خـتْمُ النبُـوَّةِ فـوقَ الكتْـفِ قـدْ برَقَـتْ بطلْســـمٍ نِلْنَـــا فيـــهِ ثـــرْوةً وهَنَـــا

غمامـــةٌ ظلَّلـــتْ وجْـــهَ الحبيـــبِ فلـــمْ تعْثُـــرْ عليـــهِ عيـــونٌ رامـــتِ الوسَـــنَا[1]

ويكتفي الشّاعر بهذا القدر من الحديث عن الرّسول ﷺ وصفاته، وينصح من يريد المزيد العودة الى القصيدة، ففيها شّيء كثير:

هـذا مـا سمَحَـتْ أيْـدِي الزَّمـانِ بـهِ مـــنْ يُـــردْ ســـعةً فالنَّقْـــلُ فيـــهِ غِنَـــا

و مـــــا وراءَ بحـــــرٍ لا قـــــرَارَ بـــــهِ فـالزِمْ بـهِ مـاهِرًا يـدْرِي مشَـارِعَنَا[2]

فهذه نصيحة الشّاعر لمن يريد أن يعرف الشّيء الكثير عن الرّسول ﷺ ومقامه وأحواله وأوصافه، ثمّ يختم قصيدته على عادة شعراء المديح النّبوي بتوسّل بالرّسول ﷺ واستنجادا بجنابه، وطلبا لحمايته ونصره.

ثمّ يأخذ في التوسّل بأهل بيته ﷺ وقرابته، ثمّ يذكر اسمه في آخر القصيدة شأنه شأن من سبقه من الشّعراء

(1) عبد الله ركيبي : الشّعر الدّيني الجزائري الحديث. ص 60.
(2) المرجع نفسه، ج1، ص 61.

مادحي الرّسول ﷺ، فيقول:

ابــنُ ســليمانَ موهــوبٌ لجــاهِكُمُ عليــهِ مــن عــزِّكُم سُــتَرٌ تُغمِّــدُنَا[1]

ثمّ يختم بالصّلاة على النبيّ ﷺ وآله كعادة من سبقه:

صــلَّى عليْــكَ إلــهُ العــرْشِ مَــا برَقَــتْ بــوارِقُ بــالحِمَى تَهْــدِي إليْــكَ سَــنَا

و آلِــكَ الغــرْوِ والصَّــحْبِ الكِــرَامِ ومَــنْ يقِفُــوا علــى الأثَــرِ والسَّــلامُ يشْــمَلُنَا[2]

و لعلّ أبرز ملاحظة نبديها تعليقا على القصيدة أنّ شكلها تقليدي على منوال السّابقين، حيث بدأها الشّاعر بالغزل ثمّ التخلّص إلى وصف الأخلاق، ثمّ وصف الجسد، وأخيرا التوسّل والخاتمة، ولكنّ أسلوب القصائد التّي تتحدّث عن الرّسول ﷺ تختلف من شاعر إلى آخر، فنجد مثلا الشّاعر محمد بن سليمان تبدو عاطفته قويّة جارفة في مدح النبيّ الكريم (ص وهي مخطوط، > يذكر الدّكتور عبد الله الركيبي أنّ له نسخة منه، ويجد القارئ مشقّة في العثور عليها.

– **عبد الرّحمن الدّيسي**: ابن قرية الدّيس بمنطقة بوسعادة، ولد سنة 1270 هـ- 1854 م، بها نشأ وتربّى يتيما في حجر والدته، له منظومة شعرية قلّد فيها السّابقين الذّين كرّسوا منظومات كثيرة قصد التبرّك بالرّسول ﷺ وبأسمائه، كما يذكر أنّه " نظمها تقرّبا للرّسول الشّفيع، وبأنّه اقتفى فيها أثر دلائل الخيرات، يبدؤها بالحمد ثمّ الصّلاة على الرّسول ﷺ:

الحمــــدُ للّــــهِ الكــــريمِ أحْمُــــدُهُ محمّــــــدٌ حبيبُــــــهُ وأحْمَــــــدُهُ[3]

ثمّ يأخذ في ذكر أسماء الرّسول ﷺ وصفاته، مثل هذا النظم لا نجد فيه روح الشّعر، فليس فيه صور بيانية

(1) عبد الله ركيبي : الشّعر الدّيني الجزائري الحديث. ص 61.
(2) المرجع نفسه، ص 62.
(3) نفسه، ج1، ص 64.

أو عاطفة قويّة، ولا تعابير جزلة، أو معاني جديدة، وذكره لأسماء النبيّ ﷺ وصفاته استمدّها من القرآن الكريم أو الأحاديث النّبوية أو السير أو ممّا قاله الشّعراء السّابقون، فهو يكرّر أشياء ليس فيها جديد، كما يبدو ذلك في هذين البيتين:

يـــا كامـــلُ مـــنْ شـــأْنِهِ التكْميـــلُ ففِـــي الوجـــودِ إنّـــكَ الإكْليـــلُ

وإنَّـــــكَ "المـــــدثِّرُ" المزمّـــــلُ بالـــدّينِ والإرســـالِ يـــا ذا التفضـــيلُ[1]

وقد اتّخذ الشّاعر أسلوب النّداء طريقا لذكر هذه الأسماء والصّفات حتّى يتوسّل في نهايتها ويختمها بالصّلاة والتسبيح، وهي قصيدة طويلة جمعها في ديوان أسماه " منّة الحنّان المنّان"، وهي عبارة عن مخطوط، وظاهرة النظم دون الشّعر في هذه القصيدة مرجعها ضعف اللّغة العربية وآدابها آنذاك حيث كادت تتلاشى بسبب جمودها وتأخّرها، و للشّاعر قصيدة أخرى وهي تشطير لقصيدة شاعر آخر هو " محمد البكري " واختار لها الدّيسي البحر السّريع وزنا، يقول في مطلعها:

(مـــا أرْســـلَ الرَّحمـــانُ أوْ يُرْسِـــلُ) مـــنْ كـــلِّ مـــا يفْعَـــلُ أوْ يقْبـــلُ

إلى أن يقول:

(ألا وطـــــهَ المصـــــطفى عيـــــدُهُ) محبوبُـــــهُ خيرتُـــــهُ الأكْمـــــلُ[2]

ويستمرّ الشّاعر بعد ذلك في تشطيرها معدّدا أسماء الرّسول ﷺ في نظمه، والدّافع في ذلك هو التقرّب والتبرّك، وإظهار البراعة في تعداد هذه الصّفات والإلمام بها، بعد أن ذكرت في القرآن الكريم، أو جاء ذكرها في كتب الباحثين في سيرة المصطفى ﷺ.

(1)عبد الله ركيبي : الشّعر الدّيني الجزائري الحديث. ص 65.

(2) المرجع نفسه، ص ص 65، 66.

ثمّ يتطرّق إلى الحديث عن معجزات الرّسول ﷺ ومحاولة الرّبط بينه ﷺ وبين الكون، بين ولادته وحقيقة الوجود، أي أنّ هذا الوجود ما كان من الممكن أن يظهر لولا وجود الرّسول، وهي فكرة صوفية بين الحقيقة المحمّدية وبين خلق خلق الوجود، ففي ذلك يقول:

وكـــان نبيًّـــا قبـــلَ فتْـــقِ عـــوالمٍ وآدمُ لمْ يُخْلَـــــقْ ولمْ يتَّجسِّـــــــدِ[1]

نلاحظ من خلال هذه الأبيات للدّيسي أنه ليس فيها جديد تختلف به عن سابقاتها من القصائد المخصّصة لمدح الرّسول ﷺ، إذ لم يضف شيئا في شكل القصيدة أو مضمونها، وإنّما هي تقليد وتكرار لما جاء قبلها.

لذلك فالشّعراء الجزائريون الذّين برعوا في مدح الرّسول ﷺ وجعلوه غرضا لموضوعاتهم، هم كثر قديما وحديثا من بينهم الشاعر بن منيع بلقاسم التاكساني الجيجلي في قصيدته " نزهة اللّبيب في محاسن الحبيب".

هذه القصيدة التّي قالت عنها جريدة الشّهاب " منظومة غرّاء وروضة غنّاء في الأسماء النّبوية والمعجزات المصطفوية بكلام بليغ وأسلوب بديع جمعت بين الرّصانة العلمية والعذوبة الشّعرية." [2]، وقرضها محمد بن عبد الحي الكتاني الفاسي بقوله: " فقد وقفت على هذه الجريدة الغناء والبهجة السنية التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، تتفجر فرائد الفوائد من جمل خطابها، منظومة الفقيه العالم العلم الركن المستلم، المشارك الألمعي، المدرس المطلع العبقري، سيدي بلقاسم ابن منيع الجيجلي، مدرس الزاوية الحسينية، بالمعالة القسنطينية، في الأسماء النبوية والمعجزات المصطفية، فاستحسنت مطلعها البديع، وتأملت مضامينها ذات الإفادة والجمع المنيع، فشكرت همة الناظم والمعيته واطلاعه وجزالته، نفع الله به وبنظمه، وأجزل ثوابه جزاء عمله

(1) عبد الله ركيبي : الشّعر الدّيني الجزائري الحديث. ص 66.
(2) المرجع نفسه، ج1، ص 76.

وهمه، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير" [1].

وبعد هذه الرحلة مع المديح النبوي نشأة وتطورا، يمكن أن نخلص أن المديح النبوي في الجزائر كان امتدادا لسابقيه في الشكل والمضمون، وقصيدة ابن منيع "نزهة اللبيب في محاسن الحبيب" نموذجا للمديح الجزائري، وهي موضوع دراستنا في هذا البحث في شقه التطبيقي متبعين المنهج الأسلوبي.

(1) بلقاسم بن منيع: نزهة اللبيب في محاسن الحبيب، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة، الجزائر، دط، 1926، ص51.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية على المديح النبوي عند ابن منيع التاكساني

لم يعد يخامر عقول الدارسين العرب للنص الأدبي باختلاف عصره ومصره أنّ المناهج النقدية المعاصرة لها القدرة على تحليل الخطاب الأدبي بطريقة علمية، وعلم اللغة الحديث منذ ظهوره على يد العالم اللغوي السويسري " فرديناند دي سويسير" (1857- 1913) ومن حمل اللواء بعده من اللغويين إلى يومنا هذا.

ومن بين المناهج النقدية التي حظيت بالاهتمام منذ وطئت أقدامها البلاد العربية (ترجمة وتنظيرا وتطبيقا) المنهج الأسلوبي، حيث يدرس النص الأدبي عبر مجالات أرحب ومستويات أوسع، وهذه المستويات هي (الصوتي، التركيبي، المعجمي، الدلالي).

فهو يبدأ بالصوت ومخرجه وصفاته وموقعه، ومدى تأثيره في مستمعه، ثم إلى الكلمة وتصريفها، وينتقل إلى الجملة وطريقة تركيبها، ثمّ يدرس المعنى الكلّي للنص، وبهذه الطريقة التي ذكرنا وعلى المنوال الذي شرحنا تمت الدراسة الأسلوبية للقصيدة الميمية في مدح خير البرية للشاعر بلقاسم بن منيع التاكساني، انتقلنا فيها إلى أربعة مستويات وهي (الصوتي، التركيبي، المعجمي، البلاغي) ووقفنا على ملامح أسلوبية متعددة.

فدرسنا الطاغي منها والظاهر، ولأن المقام العلمي والمنهج الدراسي قد لا يسمحان، فاكتفينا بالإشارات إلى الظاهر، ليعرف ما وراءه من المستتر والخفي، فحسبنا الإشارة إلى الظواهر الصوتية والقضايا التركيبية والإجراءات البلاغية والحقول المعجمية.

المبحث الأول: المستوى الصوتي

لاشك أن الصوت وسيلة ضرورية لمعرفة اللغة، ومن هنا كان التحليل الصوتي يكتسي أهمية بالغة بين مستويات التحليل اللغوي عند الدارسين العرب، ولعل دراسة القرآن الكريم الكتاب المعجز المنزل على قلب محمدﷺ هو الذي جعل علماء العربية يعتنون عناية فائقة بالصوت، ويدرسونه دراسة فاحصة دقيقة من خلال الوصف، فلما تطورت العلوم في العصر الحديث لم نجد خلافا كبيرا بين دراستهم والتحليلات العلمية الحديثة خاصة في مخارج الأصوات وصفاتها وغير ذلك، مما هو مبسوط في مواضعه عند القدامى والمحدثين، ولهذه الأهمية وغيرها أصبح التحليل الصوتي مهما في الدراسة الأسلوبية الحديثة.

وحتى ندرس القصيدة التي بين أيدينا دراسة صوتية سليمة ونخلص إلى نتائج واضحة، إرتأينا تقسيمها إلى قسمين هما : الموسيقى الخارجية والموسيقى الداخلية.

1- الموسيقى الخارجية

هي الموسيقى الناتجة من : القافية، الوزن، الروي...والتي تبدأ من المظاهر الخارجية للقصيدة، ثم تتغلغل حتى تصل إلى لب المشكلة " الموسيقى المتأتية من نظام الوزن العروضي والقوافي الذي يشكل قواعد أصيلة عامة يخضع لها جميع الشعراء"[1] والوزن هو أول نقطة يتم التطرق إليها من قبل الباحثين الأسلوبيين كونه النواة الرئيسية التي تبنى عليها البنية الإيقاعية الخارجية ومنه يقدر تحديد هيكل القصيدة ومدى أهميته فيها.

أ- الـوزن : الوزن هو الأساس في الصناعة الشعرية، حيث عد هو الفيصل في وضع حدود بين الشعر والنثر عند المحققين، و"هو يتشكل من انتظام ألفاظ فيما بينها قد تناسبت أصوات حروفها وتعاقبت الحركات والسكنات

(1) محمد موزاوي: الدروس الوافية في العروض والقافية. دار هومة، الجزائر، دط، دت، ص30.

وفق أزمنة في النطق متساوية"[1]، وأبحر الشعر ستة عشرة بحرا.

– والأوزان العروضية التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي هي : خمسة عشر وزنا سمي كل منها بحرا، لأنه أشبه بالبحر الذي لا يتناهى بما يغترف منه، في كونه يوزن به ما لايتناهى من الشعر، فلما جاء الأخفش أنكر وجود بحرين من بحر الخليل لأنهما في رأيه لم يردا عند العرب ثم زاد هو بحرا لم يذكره الخليل فيما ذكر هذا البحر هوالمتدارك أما البحران اللذان أنكرهما فهما المضارع والمغتضب إذ لم ترو لهما شواهد صحيحة السنية في الأشعار العربية القديمة، وبعد التقطيع العروضي للبيت الأول من هذه القصيدة مما تم إختياره لإجراء الدراسة الأسلوبية عليه التي نلج إليها من هذه الباب.

محمـد خيـر محمـود بكـل ملا

مُحَمْمَدُنْ خَيْرُ مَحْمُوْدِنْ بِكُلْ لِمَلَاْ

0///0//0/0/0//0/0//0//

متفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

علـويها سكـنا والعـرب والعجم

عُلْوِيْيِهَاْ سَكَنَنْ وَلْعُرْبِ وَلْعَجَمِيْ

0///0//0/0/0///0//0/0/

مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن

يتضح أن الشاعر بلقاسم بن منيع قد إختار لقصيدته بحر البسيط بحيث تذكر جميع التفعيلات المعروفة له إلا أن بعضا من التغيير قد يطرأ عليه وذلك للضرورة الشعرية أولا ولطول القصيدة ثانيا، وهذه التغييرات قد تكون في العروض والضرب أو في الحشو. وتقطيع البيت أعلاه يوضح ذلك.

(1) كروم بومدين: أبو الحسن الششتري – حياته وشعره. دار التوفيقية، الجزائر، ط 1، 2011، ص 221.

أما سبب إختيار ابن منيع لهذا البحر يعود لأسباب عدة منها : أن للبحر البسيط بساطة وطلاوة، وهو من الأبحر كثيرة التداول عند الشعراء. حيث سمي بسيطا " لأن الأسباب إنبسطت في أجزائه السباعية، فحصل في كل جزء من أسبابه السباعية سببان...وقيل سمي بسيطا لأنبساط الحركات في عروضه وضربه"[1]

وفي ظننا القريب لليقين أن اختيارالبحر البسيط لدى الشاعرا بن منيع هو تأثره الشديد ببردة البوصيرى والتي هي من هذا البحر، لأننا نكتشف أثناء دراستنا للقصيدة مدى تأثر الشاعرابن منيع بالبوصيري ويمكننا الاستئناس بقصيدة بانت سعاد التي طارت بها الافاق لصاحبها كعب بن زهير المادح لرسول الله ﷺ والذي جاء بها معتذرا، فكانت من البحر ذاته، ويرجع إليه الشعراء في مثل هذه الأغراض كالحكمة والتأمل والمدح...الخ

وعند دراستنا لهذه القصيدة نلاحظ التبادلات الواقعة بين الحركات والسواكن من خلال الأسباب والأوتاد ولعل ذلك يعود لإبراز الإيقاع النفسي الذي يسعى الشاعر بن منيع بلقاسم لنقله للمتلقى وذلك للتأثير فيه.

ب– القافيــة : اختلف العلماء في تعريفها ولكنهم إتفقوا على أهميتها وقيمتها الموسيقية، كيف لا وهي التي تزيد من سحر النغم وعذوبته، ولها جمال أخاذ، فهي منتهى القصيدة ومكمن الإعجاب فيها.

والقافية لغة هي: "عني بالقافية القَفا، ويقولون :القَفَنُّ في موضع القَفا، وقال: هي قافية الرأْس.وقافِيةُ كل شيء: آخره، ومنه قافية بيت الشِّعْر، وقيل قافية الرأْس مؤخره"[2]، أما إصطلاحا فتطلق القافية " على الساكنين اللذين في آخر البيت مع ما بينهما من الحروف المتحركة، ومع المتحرك الذي قبل الساكن الأول "[3]، وللقافية حروف خاصة بها وحركات وأنواع، جمع صفي الدين الحلي حروفها وحركاتها فقال عن الحروف:

(1) الخطيب التبريزي: الوافي في العروض القوافي. تح: فخر الدين قباوة، دار الفكر، سوريا، ط4، 2002، ص54.

(2) ابن منظور: لسان العرب. مج 5، دار المعارف، تح: عبد علي كبير وآخرون، القاهرة، دط، ص3708 (مادة قفا)

(3) موسى بن محمد نويوات: المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي، دار الحكمة للطباعة والنشر، الجزائر، ط4، 1994، ص355

مجـــرى القـــوافي في حـــروف ســـتة كالشـــمس تجـــري في علـــو بروجهـــا

تأسيســـها ودخيلهـــا مـــع ردفهـــا ورويهـــا مـــع وصـــلها وخروجهـــا[1]

وقال عن الحركات:

إن القـــــوافي عنـــــدنا حركاتهـــــا ســـــت علـــــى نســـــق بهـــــن يـــــلاذ

رص وإشـــــباع وحـــــذو ثم تـــــو جيـــــه ومجـــــرى بعـــــده ونفـــــاذ[2]

وفي هذه القصيدة تكون القافية : /0//0 فلو كانت صحيحة لكانت صالحة لأن تكون قافية، ولكن وقد حذف فيهاالساكن الثاني بما يسمى عملية الخبن، وحذف ساكن (متفعلن) فإنها ستعرف التفعيلة الأخيرة كاملة وتزيد سببا يلحق بها في أولها في كل التفعيلة السابقة، وهذا ينطبق على كل القصيدة.

ج- الروي: هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه، فيقال مثلا سينية البحتري، ولامية الشنفرى[3]، ونونية ابن القيم...، والروي " يحقق القيمة الإيقاعية من خلال تكراره على مسافات ثابتة هي الحركات التي يكونها البيت، فكأن المتلقي ينتظر ضربة إيقاعية بعد العدد نفسه من التفعيلات في كل بيت"[4]، وقد يكون ساكنا أو متحركا.

والروي هنا في قصيدة الشاعرا بن منيع هو : الميم، وهي ميم متحركة ولذلك فإن الوقوف عليها يكون بالإشباع بواسطة حركة الكسرة، التي تتحول إلى ياء بحيث تكون الحركة طويلة وهذا الحرف إختاره البوصيري لبردته، ولذا قلنا سابقا أنه اختيار عن قناعة منه، وحرف الميم هو من الحروف المجهورة الإنفجارية القوية، وإن لم

(1) موسى بن محمد نويوات: المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي . ص355.

(2) المرجع نفسه، ص 355.

(3) أماني سليمان داود: الأسلوبية والصوفية، ص46.

(4) المرجع نفسه، ص46.

تكن قوتها كبيرة فهي على درجة عالية من البوح.

ونقف على هيمنة بنية إيقاعية في قصيدة نزهة اللبيب، كان لموسيقى النص الأثر البالغ في صنعتها حيث تفعيلات البحر البسيط مع التغيرات المحدثة أحدثت لمسة سحرية إيقاعية عذبة، فالقافية بخبنها، والروي بحرف الميم المكسور. فمتى قرأت هذا النص الشعري في المديح المحمدي علق بقلبك وأطرب فؤادك.

2- الموسيقى الداخلية

وهي تعني أكثر ما تعني ذلك النظام الذي تبنى عليه القصيدة داخليا، ويكون من اختيار الشاعر لكلماته وحروفه وجمله كي يسوقها في المعنى العام، في جو يطبعه التناغم والإنسجام ويميزه التجانس والتكرار.

الأصوات المجهورة والمهموسة : لها أهمية كبيرة وتأثير بالغ حيث تصنع الإيقاع الداخلي للقصيدة، ونبدأ بالمجهورة.

- الأصوات المجهورة : "صفة ناتجة عن تذبذب وإهتزاز الأوتار الصوتية خلال النطق بصوت"[1] والأصوات المجهورة هي: (ب.ج.د.ذ.ر.ز.ص.ظ.ع.غ.ل.م.ن.و.ي). وعند إجراء إحصاء لصفة الجهر في الحروف تجدها ظاهرة أسلوبية بارزة، حيث وصلت ألفا وتسعمائة وثلاثون (1930)، وبعد إستقرائنا للأصوات المجهورة في المتن الشعري عند ابن منيع، وبعد عملية الإحصاء التي رافقت كل الأصوات -وسنوضح ذلك في جدول خاص- اتضح أن الشاعرا بن منيع كان ينادي، لا ليسمع الله رب العالمين فهو يعلم أنه سميع بصير، ولكن ليسمع المتلقي ويجعله معنيا بهذا المدح ويعيش المحطات النبوية والأسماء المصطفوية والغزوات والأحداث المحمدية، كي يشحن ذاته ويقوي عزيمته ولن يجدي ذلك إلا بحروف مجهورة.

(1) محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث. دار غريب للطباعة والنشر، دط، 2001، ص122.

الصوت	العدد
الباء	130
الجيم	44
الدال	97
الذال	43
الراء	181
الزاي	18
الضاء	20
الظاء	10
العين	124
الغين	26
اللام	349
الميم	340
النون	181
الواو	170
الياء	197
المجموع	**1930**

ولايمكن أن نذكر كل الحروف المجهورة التي تعرض لها الشاعر ويكفي أن نعرج على الأحرف الطاغية صوتيا وهي ثلاثة أحرف:

اللام : تأتي على رأس الحروف الأكثر استعمالا حيث بلغ عدد استعمالاته ثلاثمائة وتسعة وأربعون (349) صوتا، فيعطي للقصيدة نغما موسيقيا خاصا، وهو حرف عادي جانبي مجهور وظف في سياقات كثيرة ودلت عليه الأبيات التالية :

يقول الشاعر ابن المنيع :

هــو الحبيــب الــذي حلــت جلالتــه بحبــه القلــب فالعــدول مســتلم[1]

بلغ صوت اللام في هذا البيت منتهى ما وصل إليه، وهو عشر (10) لامات ومتوسط صوت اللام في كل بيت خمس لامات، ولم نعثر أثناء عملية الإحصاء على بيت خلى من لام، وهذا ما يعكس الحالة النفسية التي كان عليها الشاعر.

الميــم : ويحتل المرتبة الثانية وبفارق بسيط بينه وبين سابقه والمقدر بتسع (09) أصوات وهي ثلاثمائة وأربعون (340) صوتا، والميم حرف شفوي مجهور متوسط وظفه الشاعر كثيرا وهذا التوظيف مقصود من قبل الشاعر، حيث فكما علمنا أن حرف الروي ميما، وبالعملية الإحصائية وظفه الشاعر بكثافة حتى أنه وظفه أحد عشرة (11) مرة في بيت واحد، حيث لم يرق صوت إلى هذا الحد من التكثيف في البيت الواحد.

ذاك المقــام ولم يقــم بــه بشــر مــزن المحامــد منهــل مــن الأمــم[2]

الياء: استطاع صوت الياء أن يزحزح أصواتا ويتقدم عليها، وذلك لما يمتاز به من خصائص، فهو من الأصوات المجهورة التي تتميز بطاقة نغمية غير محدودة، وبخفة وقلة الجهد العضلي وله سهولة في النطق.

فوظفه ابن منيع في قصيدته مائة وسبعة وتسعون (197) صوتا، وصوت الياء ساعد الشاعر في بث دلالاته وهو يمدح رسول الله ﷺ مع ذكر سيرته وغزواته، فمثل هذا المقام يحتاج إلى أصوات طويلة النفس، وذلك كله من أجل إعلاء مقام رسول الله ﷺ وتفخيمه للمتلقي كي يعرف قدره ومكانته.

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 36

(2) المصدر نفسه، ص 36.

الأصوات المهموسة : هي أقل من المجهورة، و"قد أكد الإستقراء على أن نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام لا تزيد على الخمس، أو عشرين في المئة فيه، في حين أن أربعة أخماس الكلام تتكون من أصوات مجهورة"[1]، وعند إحصائنا للأصوات المهموسة في نزهة اللبيب وقفنا على الجدول التالي :

الصوت	العدد
التـــاء	135
الثـــاء	13
الحـــاء	94
الخـــاء	30
الســـين	74
الشـــين	38
الصـــاد	32
الطـــاء	31
الفـــاء	84
القـــاف	79
الكـــاف	67
الهـــاء	102
المجـــموع	**779**

وعند البحث والاستقراء لهذه الأصوات وجدنا أن أكثرها إستعمالا كان صوت التاء، وبلغ عددها كما هو مبين سبعمائة وتسعة وسبعون (779)، ولذا سنقف مع الحروف الثلاثة الأولى الأكثر استعمالا عند الشاعر بشيء من التفصيل.

(1) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر، مصر، دط، دت، ص23.

التـــاء : هو من الأصوات المهموسة الشديدة وفرض ذاته في القصيدة لتكراره مائة وخمس وثلاثون (135) مرة، فكان أكثر الأصوات حضورا وذلك لصفة الشدة المصاحبة له، فهو مهموس ولكن عند التوقف عليه أو مده تظهر له قوة وشدة.

يقول ابن منيع :

العاقـب المتقفـي الـذي بـه انتظمـت شمـل المحاسـن مـن سـام ومنكـتم[1]

الهـــاء : هو صوت حلقي رخوي مهموس ومن دلالته الحسرة والألم، وكان توظيفه من الشاعر قد بلغ مائة وإثنان (102) مرة، وتكرر في البيت أربع (04) مرات.

حيث يقول الشاعر ابن منيع :

لـــذ بـــالمهيمن في حـــل ومرتحـــل فإنـــه شـــاهد غـــدا لجمعهـــم[2]

يحس الشاعر بشيء من التعب والضيق النفسي لذا يدعو المتلقي أن يلوذ بالمصطفى كي تخفف عنه شيئا من آلامه وأحزانه، وهذا ما يظهر من خلال حرف الهاء ومضمون البيت.

الحـــاء : هو صوت حلقي مهموس، عند النطق به اذ يحتل المرتبة الثالثة، فبلغ عدد تكراره في القصيدة أربع وتسعون (94) مرة، وفي البيت التالي تكرر أربع (04) مرات.

وصـاحب الحـوض للـورود عـن ظمـإ يطفي حريقا لدى الأحشاء يضطرم[3]

ونلاحظ أن الأصوات المهموسة هي أقل من المجهورة، وهوا ختيار من قبل الشاعر لأن المقام مقام مدح

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 10
(2) المصدر نفسه، ص 25
(3) نفسه، ص 40

واستغاثة ونداء وإظهار حب الشاعر لرسوله ﷺ وهذاالذي غلب عليه، فهام بحبه وشغفه وصرح بذلك، فكانت الغلبة للأصوات المجهورة على المهموسة، فما استطاع إخفاء هذا الحب المكوي به فجهر به، وعندما يستريح يتكئ على المهموسة من الأصوات.

الإحتكاك : هو خروج الصوت مستمرا في صورة تسرب الهواء محتكا بالمخرج أي عند اعتراض الهواء يكون متوسطا، وحروف الرخاوزة هي : (ت.ذ.ط.ج.ع.غ.ف.هـ.خ.س.ش.ز.ص) [1]

الإنفجار : هو خروج الصوت فجأة في صورة إنفجار الهواء عقب احتباسه عند المخرج أي عند اعتراض هواء الزفير، ويكون اعتراضا تاما وحروف الشدة والإنفجار تجمع في قولنا " أطق ضذ بكت مع الجيم " [2]

لقد لعب الإحتكاك والإنفجار دورا كبيرا في البناء الصوتي الداخلي للقصيدة، حيث اتحدا شكلاو قوة وهذا ما يصبوا إليه الشاعر بلقاسم ابن منيع التاكسني.

محمـــد خـــير محمـــود بكـــل مـــلا علـو بهـا سـكنا والعـرب والعجـم[3]

امتزجت الحروف الإحتكاكية بالإنفجارية وشكلت مونولوجية رائعا فكان عددها خمس عشرة (15)، ثمان (8) منها للإنفجارية وسبع (7) منها للإحتكاكية وهذه المزاوجة تعكس موقف الشاعر من التوليف بين هذه الأصوات.

حروف المدّ : "لحروف المد والحركات وظيفة فنية صوتية إذ تؤدى في كثير من الأحيان إلى تنوع النغمة الموسيقية للفظة أوالجملة فهي ذات مرونة عالية وذات سعة في إمكانياتها الصوتية فتضفي موسيقى خاصة، ذات تأثير

(1) محمد محمد داوود: العربية وعلم اللغة الحديث. ص 122
(2) المرجع نفسه، ص 123
(3) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب.ص04

نفسي يشبه ذلك التأثير الذي يحققه اللحن الموسيقي "[1]

– ويصفها إبراهيم أنس بأنها " وتمتاز أصوات المد بوضوحها في السمع إذا قيست بالأصوات الساكنة "[2]

– ولقد تكررت حروف المد عند الشاعر ابن منيع كثيرا وهي ظاهرة شديدة الجلاء في شعره، وجاءت متباينة في توظيف الشاعر إيّاها والنص يشع بها.

– ومن خلال التكثيف الإستعمالي لحروف المد وذكر وظائفها الفنية وخصائصها الصوتية، نقف على الأثر الذي حققه الشاعر في مناجاته ومدحه لرسول الله ﷺ والأبيات الثلاثة توضح ذلك :

وللصحابة والأتباع نور الهدى يغنيك سارية عمدا إلى الأضم[3]

أعظم بذا آية (الامي)معجزة في أمة العرب لم تخط بالقلم

لم منه ارتحال للعلوم وما أنتى به البحر أو غزارة الديم[4]

وعند الوقوف على ظاهرة حروف المد في الأبيات الآنفة نلحظ مناجاة الشاعر ومدحه لرسول الله ﷺ عند استعماله لهذه الصوائت، فهي تستغرق وقتا طويلا، ومن ثم يشحنها دلاليا وذلك لأجل مصاحبة الصوت للنداء المشحون به، ألا تراه يفعل ذلك من خلال ألفاظه التي امضى نبالها بحروف المد (للصحابة – الأتباع – هدى – يغنيك – سارية – إلى – حذا – آية – في – إرتحال – للعلوم – مما أتى غزارة) وعندما نضيف لذلك الوصل المكسور في رويّ الأبيات : الأخم (ى)، القلم(ي)، الديم (ي)، فيصل النداء إلى المتلقي ولكن بمدة تطول، فيحقق موسيقى خاصة ذات جرس إيقاعي جميل يؤثر في نفسية المتلقي وهذا ما أثبته الشاعر.

(1) أماني سليمان داوود: الأسلوبية والصوفية. ص 87

(2) المرجع نفسه، ص 87.

(3) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب.ص 27.

(4) المصدر نفسه، ص 28.

ابن منيع في الميمية ذات المطلع البديع في مدح وبيان المعجزات المحمدية والإشراقات النبوية.

التصريع : إذا كان التصريع بمفهومه البسيط هو ما كانت حروف البيت فيه تابعة لضربه، فإن للتصريع أسباب وغايات من أجلها يلجأ الشاعر للتصريع، ولقد كان التصريع موضع سجال وتقاش كبير بين القدامى أنفسهم والمحدثين فما هي أسبابه :

يذكر ابن رشيف أسبابا للتصريع يحددها فيمايلي:

1- أن الشاعر يلجأ إلى التصريع ليعلم المتلقي أنه بدأ في قوله شعرا لانثر ا

2- الإنتقال من قصة إلى أخرى أو من وصف إلى وصف.

3- أن التصريع يأتي من كثرة المادة اللغوية عند الشاعر، فهو دليل على قوة الطبع وكثرة المادة [1]

ويرى حازم القرطاجني أن للتصريع " في أوائل القصائد طلاوة وموضعا من النفس لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الإنتهاء إليها، ولمناسبة تحصل لها ازدواج صنيعي العروض والضرب وتماثل مقطعها لا تحصل لها دون ذلك"[2]، فيحرس حازم على التأثير النفسي للتصريع وهدا دليل على مدى إهتمامه بالحانب النفسي ومدى تأثره على المتلقي وعندما نعود إلى نصنا الشعري في المديح النبوي نعثر بعد الفحص أن الشاعر إستعمل التصريع في بيتين :

أبـــو الأطايـــب إبـــراهيم قـــاسمهم مـــــن وارد أولا نشـــــأ ومخـــــترم

عبـــد الإلـــه وزينـــب رقيـــتهم وأم كلثـــوم في غـــني عـــن الكـــتم[3]

إستعمل الشاعر التصريع في هذين البيتين ولعلنا ندلل على ذلك ببطئ الحركة الإيقاعية في المطلع وارتباط ذلك

(1) أحمد عثمان أحمد: المعلقات دراسة أسلوبية. ص 94

(2) أبو الحسن القرطاجني : منهاج لبلغاء وسراج الأدباء. ص 283

(3) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 46.

بحالة الشاعر التي بثها في نصه الشعري، فجاءت جملا إسمية لها دلالة الثبوت فظهر الإيقاع بطيئا، زد على ذلك الحالة النفسية للشاعر وهو يعدد أولاد رسول الله ﷺ ويتذكر أن الله كتب على نبيه ألا يعيش له ذكرا والحكمة بالغة، وعند استحضار مثل هاته المعاني يقع التصريع.

المبحث الثاني: المستوى التركيبي

البنية اللغوية تكتسي أهمية بالغة عند باحثي ودارسي المنهج الأسلوبي، لأن المعاني والدلالات لا تأخذ موقعها إلا بتركيبها، والجماليات التي تتركها لا تكون إلا بها، والصرف والنحو منهما تستقى اللفظة التركيبية والشحنة الدلالية، ولدورهما الأساس في عملية التلقي والتأويل ركز عليهما الدرس الاسلوبي الحديث.

1- الصرف

لكل صيغة من صيغ اللغة خاصية بها، ووظيفة تؤديها، والنّاص يميل إلى صيغة من الصيغ، وذلك باختيار منه وإدراك تام لما لهذه الصيغ من مزايا تساعده في هذا النص، وقد يعدل عنها في نص آخر فيختار غيرها، ولعل الشاعر أو الأديب يعي أن هذه الصيغة حمّالة لانفعالاته وشعوره دون الأخرى، والموضوع هو الذي فرض ذلك "وإذا كانت الدلالية الأساسية هي جوهر المادة للغوية المشتركة في كل ما يستعمل في إشتقاقاتها وأبياتها الصرفية"[1]، ومما نسلم به أن " القيمة الصرفية توجه المادة الأساسية، وتضعها في مجال وظيفي معين"[2].

الصرف: ويقال له التصريف وهو لغة: التتغيير ومنه تصريف الرياح، قال تعالى : " وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝ "[3]، وأما إصطلاحا: فهو علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء وهو يختص بالأسماء المتكمنة والأفعال المتصرفة.

إن الأسماء والأفعال هما مادة النص وركيزتاه، ولعلنا أثناء دراستنا أسلوبيا لقصيدة نزهة اللبيب نحصرها في

(1) فايز الدايه: علم الدلالة العربي. النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية ناصلية نقدية، دار الفكر، دمشق، ط1،1985، ص 20.
(2) أحمد الحملاوي: شدا العرف في فن الصرف. الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر، ط 1، 2007، ص 21
(3) سورة الجاثية، الآية 5.

الأفعال وبعض من مشتقاتها، والأسماء وجزء منها، موجهين سهام دراستنا للمتن الشعري الذي بين أيدينا.

أ– الأفعال: الفعل ركن مهم في الجملة العربية ولقد حظي باهتمام كبير من قبل النحويين قديما وحديثا ويعّرف الفعل بأنه : " ما دلّ على نفسه مقترن بزمان مثل حضر، يحضر، أحضر، والفعل يأتي في ثلاث صور وهي الماضي والمضارع والأمر "[1]، وللفعل دلالة بذكرها الإمام الزركشي في برهانه " الفعل على التجدد والحدث والإسم على الإستقرار والثبوت ولا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر " [2]

ويدلّل الزركشيّ على قوله بآيات من القرآن الكريم، منها قوله تعالى : " تذكروا فإذا هم مبصرون " [3]، يقول: " لأن البصر صفة لازمة للمتّقي وعين الشيطان ربما حجبت فإذا تذكر رأى المذكور ولو قيل يبصرون لأنبأ عن تجدد إكتساب فعل لاعود صفة" [4].

والأمر نجده كذلك مع الإمام السيوطي وغيرهما، فيثبتون أنّ الفعل له دلالة التجدد والحدوث وللإسم دلالة الثبوت والإستمرار، إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو " هل يدل الفعل دائما على التجدد والحدوث وبكل صيغه يستوي في ذلك الفعل المضارع مع الفعل الماضي وفعل الأمر؟" [5].

إن هذا السؤال المهم حري به أن يفك طلاسم دلالةالفعل عند بعض الأقدميين ولعلنا نحيل الإجابة الى اللغوي المعاصر إبراهيم السامرائي مباشرة إذ يقول " وبناء يفعل او المضارع يفيد التجدد والحدوث وإختيار الجرجاني له – أي المضارع – مفيد له في إثبات مقالته "[6]

(1) داوود عطاش: النحو العربي التطبيقي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط1، 2000، ص 15

(2) بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، دط، دت، ص ص 44–66

(3) الأعراف، الآية 201.

(4) بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن. ص ص 44–68.

(5) أحمد عثمان أحمد: المعلقات دراسة أسلوبية. دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، القاهرة، دط، 2007، ص120.

(6) إبراهيم السامرائي: الفعل زمانه وأبيتيه. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1980، ص 205.

هذا عن المضارع، فكيف هي دلالة الفعل الماضي عند السامرائي : " لأن الشواهد لا تؤيد هذا التجدد المزعوم، وكيف لنا أن نفهم التجدد والحدوث في قولنا مات محمد، وهلك خالد، وانصرف أبو بكر، فهذه الأفعال كلها لما لنا أن نجريها عن التجدد " [1]،

ونخلص من هذا كله، أن الفعل الذي على التجدد والحدث هو الفعل المضارع بينما نجد الفعل الماضي يدل على التحقق والثقة بالوقوع والتثبيت من ذلك.، وبالعودة إلى المدونة الشعرية التي بين أيدينا قمنا بإجراء مسح عام، أحصينا من خلاله الأفعال التي عمد إليها الشاعر بن منيع في قصيدته والجدول بوضح ذلك :

الفعل الماضي	الفعل المضارع	فعل الأمر
تاهت . جمع . قد . رجا . جاء . نخاف . قهرت . شرف . مضى . إنتطمت . أطرق . استوى . حلت . علت . عرجا . سنمت . حبى . صحت . لهجت . أخاب . هال . دهى . عزت . عمت . سرى . ترمى . رفعت . زكت رقت . أنى . وردوا . فتحت . خفقت . أم . يرى . عزت . أفعمت . أوقدت . تفجرت	ينال . يرتجي . يهم . يحم . يصم . يدرك . يسم . يغنيني . تخط . يدر . يختشي . يصاحبه . يرمي . يطغى . يضطرم . ينهال . نغار .	سل . قف . أقبل . إستغفر . نفس . إسأل . قل . أعظم . ضل . إمنح ... . ل

(1) إبراهيم السمرائي: الفعل زمانه وأبيتيه. ص 205

الفعل الماضي	44
الفعل المضارع	23
فعل الأمر	11
المجموع	**78**

وبعد العملية الإحصائية الإستبيانية نقوم بعملية قرائية أوليّة لهذه الأفعال المستخلصة في المدونة الشعرية لإبن منيع نخلص إلى النتائج التالية :

1- فعل الأمر أقل الأفعال إستخداما بين أخويه.

2- الفعل المضارع أكثر من فعل الأمر وأقل من الماضي.

3- الفعل الماضي أكثر الأفعال إستخداما وشيوعا عند الشاعر.

وأن مجموع الأفعال قد وصل إلى ثمانية وسبعين (78) فعلا مقسما على :

- الفعل الماضي بأربعة وأربعين (44) فعلا.

- الفعل المضارع بثلاثة وعشرين (23) فعلا.

- فعل الأمر بأحد عشر (11) فعلا.

إن كثرة ورود الأفعال الماضية بهذا الشكل والعدد تجعلنا نتوقف عند الحالة النفسية الصعبة التي يعيشها الشاعر، فتذكره برسول الله ﷺ، وذكر محاسنه وشمائله استغرق الجزء الأكبر من القصيدة، مع الوقوف مطولا على غزواته وجهاده، وهذا كله وقع في الماضي، فانساب الشاعر في الحديث بصياغة الأفعال الماضية، وزيادة على الوضع النفسي الأليم، هناك الوضع العام للبلاد حيث الإستدمار الفرنسي جاثم على صدور الجزائريين فيلجأ إلى رسول الله ﷺ وأصحابه المجاهدين، هذا الذي انجرّ عنه كثرة الأفعال الماضية، زيادة على أن هذا النوع من الافعال هو هروب من الحاضر لانه يجسد آلامه وجراحه، فالماضي يدل على الثبوت والتحقيق، والأثر الذي تتركه هذه

الأفعال في عشاق الرسول ﷺ من المتلقين فإن أرادوا الخلاص، فعليهم بالإقتداء بالرسول ﷺ.

أما استعمال الأفعال المضارعة فكان بذلك العدد له دلالة الديمومة التي يعيشها الشاعر ولعلها تزيد لمدة أطول، وهو يريد التنوع في صياغة الأفعال كي يبعث بتنوع وحركة في نصه مخافة ان يصاب المتلقي بالكآبة والملل.

أما أفعال الأمر فكانت قليلة، وهي بمثابة الملجأ الذي ينفس به الشاعر عن آلامه لأنها متعلقة بدعاء وتضرع لله رب العالمين، وإن عقيدة التوحيد الراسخة في وجدانه تجعله يؤمن أن كل شيء بيد الله تعالى وأنه هو المخلص من هذا وغيره، فهو على كل شيء قدير، وبهذا يرسل رسالة للمتلقي كي يعود إلى الله تعالى كما عاد الشاعر في آخر قصيدته دعاء وتضرعا لله.

مشتقات الأفعال: بعد الوقوف على الأفعال الواردة وصيغها ننتقل إلى مشتقاتها لنقف على ظاهرتين اثنتين في المدونة الشعرية التي ندرسها، وهما:

أفعل: لها معاني عدة، ولذا هنا نجد لها استعمالا كثيرا، لكثرة الدلالات التي توحي بها، منها: "التعددية، الدخول في شيء مكانا أو زمانا، صيرورة الشيء ذا شيء، ان يكون بمعنى استفعل كأعظمته استعظم، السلب والإزالة..."[1].

ومن بين ما استعمل الشاعر ابن منيع في الاشتقاق قوله:

فأطرق الشيخ ثم ما استوى حكما إلا وأقسم أني ثالث لهم[2]

وهذا الاشتقاق استعمله الشاعر ههنا بمعنى استفعل كأعظمته استعظم، ليبين عظم الامر الذي يريد الشيخ إصدار الحكم فيه، ولأن المسألة عظيمة فاختار لها الشاعر هذه الصيغة، فكانت قوية في جرسها الموسيقي وفي

(1) أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف. ص 48، 49.
(2) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب.ص 22.

أدائها اللفظي، يقول الشاعر :

هــاذي الهواتــف أفعمــت أناشــدها كــم اوفــدت زعمــا لســاكن الحــرم[1]

(أفعمت، أوفدت) هذه الصيغة اختارها الشاعر لتؤدي دلالة التعددية.

إنفعل: يأتي بمعنى واحد و"هو المطاوعة، أي لمطاوعة المفعول لفاعل، فيما يفعله به، كصرفته فانصرف ولا ينفك هذا الباب عن معنى المطاوعة، لهذا لا يكون إلا لازما"[2].

يقول الشاعر بلقاسم بن منيع:

العاقــب المقتفــي الــذي بــه انتظمــت شمــل المحاســن مــن ســام ومنكــتم[3]

استعمل الشاعر في بيان مدح الرسول ﷺ هذا الفعل (انتظمت) لأنه يصلح للخروج من الصدر الأول، بحسه الموسيقي المرهف وكذلك لدلالة المطاوعة، حيث يجعله مطواعا في يده، ويبين لنا شخصية المحبوب محمد ﷺ ومدى تأثيره في كل شيء.

ب– الأسماء: تعد الأسماء من الأساليب اللغوية التي يتكئ عليها النّاص، حيث تعبر من الوجهة الدلالية على الثبات والرسوخ.

وكما لاحظنا حضورا قويا للأفعال، نلحظ في الوقت ذاته حضورا مكثفا للأسماء في النص الشعري الذي بين أيدينا، وبهذا التنوع والتلاحم يتشكل النص الشعري وينسجه صاحبه فيخرجه متكاملا من جوانبه كلها، وفي الدراسة الميدانية للأسماء ومشتقاتها، حاولنا أن نقف على بعض منها، ونؤجل الوقوف على أسماء الأعلام والأماكن كي نفردها بدراسة خاصة ليس في هذا التحليل موقعها.

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 41.

(2) مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، تح: علي سليمان شبارة، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، سوريا، ط1، 2012، ص 196.

(3) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 10.

اسم الفاعل: نلحظ كثافة اسلوبية لاسم الفاعل، وذلك لمكانته ودوره في الدلالة التي يحملها، فجنح إليها الشاعر كي يحمله ويفعمه بالمعاني فكانت له القمة والريادة "اسم مصوغ لما وقع منه الفعل أو قام به".[1]

يقول الشاعر بن منيع:

مـــاح لـــدعوى ضـــلال الشـــرك والغـــير مطهـــــرا لبقـــــاع الحـــــل والحـــــرم[2]

يصف الشاعر الرسول ﷺ (ماح) (مطهرا) هذه أسماء لأفعال هي أفعال قام بها الرسول ﷺ حيث طهر مكة من الأصنام التي كانت في جوف الكعبة، ومحا الكفر والشرك الذي كان سائدا وحل محله الإيمان، وهذه الأفعال هي معنوية ليست حسية، وهي الدلالة الأسلوبية لاسم الفاعل "أن المتكلم يقف على الحديث وهو يتشكل أمامه"[3]، وهذا ما يظهر للشاعر بن منيع حيث يرد اسم الفاعل، وكأنه يرى وينظر يقينا حدوث الفعل يتشكل أمامه، ومن هنا يقف المتلقي مع القصيدة وهو يتبع الأفعال ثم لا يلبث أن يقف مع أسماء الأفعال وهي شاخصة أمامه ماثلة بجانب الأفعال كي تظهر لنا حالة الشاعر النفسية.

اسم المفعول: هو صفة تؤخذ من الفعل المجهول، للدلالة على حدث وقع على الموصوف بها على وجه الحدوث والتجدد، لا الثبوت والدوام".[4]، هو حاضر ولكنه قليل جدا، لأن الشاعر لا يحتاج لتوظيفه بكثافة كما هو الحال معه سابقه.

محمـــــد خـــــبر محمـــــود بكـــــل مـــــلا علـــو بهـــا ســـكنا والعـــرب والعجـــم[5]

(1) علي الجارم، مصطفى أمين: النحو الواضح في اللغة العربية. مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط 1، سنة 2012، ص 237.
(2) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 07.
(3) مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية. ص 165.
(4) المرجع نفسه، ص 165.
(5) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 04.

جمع التكسير: ويسمى الجمع المكسر أيضا: هو ما ناب عن أكثر من اثنين، وتغير بناء مفرده عند الجمع؛ كتب وعلماء، كتاب كواتب"[1]

مفاعل	فعال	مفاعيل	أفاعل	فعل	فعول	فواعل
محامد، محاسن، ملاحم، محاسن، مناهج، معاطب	يقاع	ميادين	قياصر، أكاسر	أمم، ظلم	قلوب، شموس، علوم	عوالم

يظهر استعمال الشاعر لجمع التكسير بكثافة، كي يجعل الجرس الموسيقي للقصيدة على وقع المتلقي توحي بالقوة والشدة، بدل استعمال الاسم المفرد، وتوظيف جمع التكسير له دلالة قويه على الطابع الوصفي للخطاب، فالشاعر يصف حبيبه محمد ﷺ بأوصاف شتى بما يليق بشخص الرسول، فيدرج الأسماء عامة وجمع التكسير خاصة بما يتناسب ومقام الوصف والصيغ المختلفة المتنوعة لجمع التكسير توحي بذلك ؛ (مفاعل، فعال، مفاعيل، أفاعل، فعل، أفعال، فعول، فواعل....).

2- النحو

إذا كان الصرف يتبع اللفظة ومشتقاتها فإن النحو يتعامل مع الجملة وتركيبها، ومن ثم كان لزاما على المحلل الأسلوبي أن يدرك ما للجملة من جماليات في المبنى والمعنى وما للانزياحات من أثر، فكانت لنا هذه الوقفة.

أ- الحذف بين الانزياح الأسلوبي وجمالية التلقي في نزهة اللبيب

تجلى الحذف كسمة أسلوبية عند الشاعر ابن منيع، وظاهرة الحذف تتمثل في انحراف استعمال اللغة الأدبية عند قياسها بالنسبة للنظام اللغوي على المفردة، والجملة والنص، "ويستمد الحذف أهميته من حيث أنه لا

(1) مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية. ص 223.

يورد المنتظر من الألفاظ ومن ثم يفجر في ذهن المتلقي شحنة فكرية توقظ ذهنه وتجعله يتخيل ما هو مقصود وعملية التخيل هذه التي يقوم بها المتلقي تؤدي إلى حدوث تفاعل من نوع ما بين المرسل والمتلقي قائم على الإرسال المتناقض من قبل المرسل وتكملة هذا النقص من جانب المتلقي".[1]

فإذا كان الحذف بهذه المهمة ويترك هذا الآثرفي افق المتلقي فلا شك أنه لا يحسن ولا يستعمل في كل حال، فإن ترك خللا في معناه أو مبناه لا يؤدي وظيفته ولا يقوم بدوره، وللحذف دور فني مهم والمتلقي يقوم على عملية تقديرية للمحذوف عند تأويله وملء فراغه، ولا تكمل العملية بسلام الاإذا كانت من قبل مرسل، عالم متى يحذف ومتى يتوقف.

والحذف معروف عند القدامى كما هو عند المحدثين: "وهو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن".[2]

وعند العودة إلى الشاعر ابن منيع في قصيدته محاسن اللبيب نجده يستعمل الحذف كصورة أسلوبية ظاهرة، ليضفي على نصه جمالية موسيقية ولغوية بلاغية متنوعة.

حذف الحروف:

حذف الهمزة: يقول الشاعر بلقاسم ابن منيع

محمد خير محمود بكل ملا علويها سكنا والعرب والعجم[3]

(1) فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية. ص 137.

(2) عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز، تح: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 01، 1425 هـ- 2005 م، ص 106.

(3) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 04.

حيث حذف حرف الهمزة من كلمة (ملا) للتخفيف وللضرورة الشعرية اقتضاها الوزن، ولو أشبعت حركة الهمزة ثم الوقف على كلمة (ملأ)تختل تفعيلات البحر، ومن أمثلة حذف الهمزة:

إذ بـــالرؤوف الـــرحيم نيـــل مكرمـــة نـــبي رحمتنـــا ذو الصـــفح والـــثجم[1]

حذف الشاعر بلقاسم ابن منيع حرف المد الألف في (إذا) وسكن حرف الذال (إذْ) وضعت مكان الألف حرف الجر الياء فتحولت الجملة إلى شبه جملة، وتم الحذف ولم يختل المعنى في البيت استغنى الشاعر على الألف ولم يحذفها فجاءت على النحو التالي:

إذا النـــذير الـــذي قـــد يعتلـــي شـــرفا محـــذرا نبئـــا مـــن طـــالع الـــدهم[2]

حذف المسند إليه في الوصف: وردالمسند عند ابن منيع محذوفا في مجال الوصف في مواضع من قصيدته وهذه ظاهرة أسلوبية عند الشاعر، منها: الحاشر، الشاهد، العدل، رقيب، العاقب، طه، ياسين الهاشمي....

يقول ابن منيع:

الشـــاهد العـــدل والفـــرد المـــبرز في يـــوم التغـــابن عـــن تـــوافر الأمـــم[3]

الحاشـر المرتضـى عـن عهـده حشـرت أفـراد مـن قـد مضـى لـه علـى قـدم[4]

والتقدير في البيتين المذكورين: وهو الشاهد العدل هو الفرد هو الحاشر... والحذف ترك فراغا يملأ من طرف المتلقي حيث الحذف في مواضع الوصف يجيء بغرض التعظيم والتوقير وإضفاء المهابة على الوصف، فالمسند هو الشاهد، العدل، الحاشر...الخ

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 15.
(2) المصدر نفسه، ص 18.
(3) نفسه، ص 10.
(4) نفسه، ص 10.

"كما يجيء هذا الحذف بهدف التشويق، ودليل ذلك كله وقوع المسند في كل هذه المواضع في أول صدر البيت مما يجعل هذا المسند مفتاحا للبيت ينطلق منه الشاعر ويبني عليه الأفكار والمعاني"[1].

وإيراد هذا الحذف من لدن الشاعر يجعله يقذف في قلوبنا تلك الهيبة والتعظيم والحب لرسول الله ﷺ الذي انشئت القصيدة من أجله، فحذف كلمة (من) وذلك ما ذكره الشاعرا بن منيع:

وبـــالفراديس قـــد رقـــت مكانتـــه عـن مـدرك العقـل في مراتـب القـيم[2]

حذف الشاعر لكلمة (من) وأصل الكلمة (ومن بالفراديس) ويتضح هذا الحذف بالعودة إلى البيت الذي قبله.

بشـرى المسـيح ودعـوة الخليـل ومـن في الآخـــرين زكـــت بـــه نـــوادهم[3]

فهذا النوع من الحدث يجعل القارئ والمتلقي يدركه عبر آفاقه القرائية الكثيرة بخلفيات معرفية وثقافية متعددة.

حذف حرف الجر: يقول الشاعر ابن منع بلقاسم:

رقيـــب شـــيعته في الـــورد والصـــدر مـــيقظ الغـــافلين أو ذوي الحلـــم[4]

والتقدير رقيب في شيعته في الورد وفي الصدر، والحذف له وظيفة دلالية وهي التحقيق في الكلام عند المتكلم، وهو إيماء بالسر المحمدي وبالوظيفة الإبلاغية الدعوية التي يقوم بها رسول الله ﷺ، ومثل هذا الحذف جاء كثيرا في قصيدة نزهة اللبيب مؤديا بلا شك دلالات مختلفة وعلى رأسها تأدية الإيقاع الموسيقي.

حذف المسند إليه في الجملة الإسمية: الجملة المفيدة تتكون من ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه،

(1) فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية. ص 141.
(2) بلقاسم بن منيع: نزهة اللبيب في محاسن الحبيب. ص 27.
(3) المصدر نفسه، ص10.
(4) نفسه، ص 10.

والمسند إليه هو الفاعل، ونائبه، والمبتدأ، واسم الفعل الناقص، واسم الحرف الناسخ، أما المسند فهو الفعل، واسم الفعل، وخبر المبتدأ، وخبر الفعل الناقص، وخبر الحرف الناسخ.[1]

حذف المسند والمسند إليه في الجملة الفعلية: ويرد هذا النوع من الحذف عند ابن منيع في قصيدته نزهة اللبيب، في مواطن كثيرة إلا أننا نذكر عينات كنماذج على هذه الظاهرة الأسلوبية.

حذف المسند والمسند إليه والاكتفاء بالمفعول المطلق: هذا النوع من الحذف ذكر في التراث وشاع شيوعا ظاهرا ولعل الشاعر ابن منيع تأثر بالأساليب التقليدية ودبّج قصيدته بمثلها، إذ يقول ابن منيع:

علـــت مـــن الكعبـــة الغـــرا أعاليهـــا بغيـــا وللمعتلـــي بالنســـف منحســـم[2]

بغيا مفعول مطلق، والتقدير: بغى/ بغيا، فالشاعر بهذا الاترياح حذف جملة فعلية من فعل وفاعل واكتفى بالمفعول المطلق، وهذا النوع من الانزياح الأسلوبي يجعل القارئ يرصد ويقرأ النص قراءات مختلفة معتمدا على استحضار العلاقات بين بنى النص، ولن يتأتى إلا برصد ظواهر الانزياح.

والشاعر ابن منيع يستعمل الإنزياح من أجل بعث وإيداع أساليب جديدة: خاصة وهو يصف محاسن رسول الله ويتغنى بحبه، ولأجله أضفى هذه الإنزياحات كي يجعل المتلقي يدرك بأن مدح وذكر محاسن الرسول تفوق كل ممدوح.

ويظهر كذلك الحذف في جملة يمكن تقديرها بعد الحذف في المعنى، يقول ابن منيع:

مـــا هـــال أمرســـراقة ولا أحـــد ولا حنـــين ولا بـــدر مـــن القـــرم[3]

(1) فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية. ص 139.
(2) بلقاسم بن منيع، نزهة اللبيب في محاسن الحبيب. ص 22.
(3) المصدر نفسه، ص32.

لقد استعمل الشاعر هذا النوع من الحذف، فحذفت جمل بأكملها، والبيت الذي بين أيدينا يظهر ذلك، وغالبا ما يكون العطف هو الأداة التي استعان بها الشاعر على حذف تلك الجمل، وظهر حرف الواو في الحذف، والتقدير هو ما هال أمر سراقة ولا هال أمر أحد ولا هال أمر حنين ولا هال أمر بدر.

فاستعمل الشاعر الحذف لعدم تكرار هذه الجمل، لأنه يراها عبارة عن وقفات ومحطات لابد من الإشارة إليها أثناء ذكر معجزات وغزوات الرسول، ثم يقول ابن منيع :

واغفـــر لناظمهـــا وكـــل قائلهـــا وللمســـلمين بجـــاه فـــاتح الحـــرم[1]

وكذلك البيت الذي قبله:

وامنح رضاء الرضا الصديق مع عمرا عثمـــان ثم علـــي قـــامع القـــدم[2]

ونلحظ أن هذا الحذف حقق إيقاعا موسيقيا خلابا، وعندما نتحدث عن حذف جمل بأكملها، نستصعب الأمر، ولكن بالعودة إلى القصيدة نجد أن الحذف لم يؤثر في السياق العام، ولم يحدث في تراكيب الألفاظ خلخلة أو زعزعة، بل على العكس أضفى هذا الحذف انزياحا أسلوبيا على القصيدة.

ب- التقديم والتأخير وعلاقته بالانزياح الأسلوبي في قصيدة نزهة اللبيب في محاسن الحبيب

يعد التقديم والتأخير من المباحث التي حظيت باهتمام كبير لدى علماء العربية من النحاة والبلاغين القدامى، وكذا عند المعاصرين، حيث أصبحت مظهرا من الإنزياح الأسلوبي والعدول اللغوي، ومن بين علماء العرب القدامى عبد القاهر الجرجاني الذي وضع يده على هذا السر الإعجازي في اللغة العربية، وتلمس جماليات هذه الظاهرة، فوقف على القيمة الفنية التي تبرزها، والدلالة التي تحصلها، فأنشأ يقول: "وهو باب كثير الفوائد،

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص50.
(2) المصدر نفسه، ص50.

جم المحاسن واسع التصرف، بعيد الغاية لا يزال يغتر لك عن بديعه، ويضفي بك إلى لطيفه، ولاتزال ترى شعرا يروقك سمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه الشيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان".[1]

ودارس المديح النبوي في قصيدة نزهة اللبيب في محاسن الحبيب يقف على كثير من الإنزياحات الأسلوبية في باب التقديم والتأخير التي لجأ إليها شاعرنا ابن منيع ومن بينها:

تقديم الجار والمجرور على الفاعل

ذاك المقـــام ولم يقـــم بـــه بشـــر مـــزن المحامـــد منهـــل مـــن الأمـــم[2]

قدم الشاعر الجار والمجرور (به) على الفاعل(بشر) والأصل في الكلام أن يقول (لم يقم بشر به)، والغرض من ذلك بيان مقام الدعوة والرسالة التي جاء بها رسول الله ﷺ، حيث لم ولن يقوم به بشر غيره لأن الاصطفاءوالاختيار من الله رب العالمين، بعد إعداد رسول الله وتهيئته وإعداده منذ صغره لهذا الأمر الجلل، وراح يستعمل هذا النمط من التقديم للجار والمجرور على الفاعل كما في قوله:

وصاحب التاج تاج الرسل من فخرت بـــه قـــريش ذو البطـــاح والحـــرم[3]

وكذا قوله في بيت آخر:

مغنـــاك منـــة تفجـــرت بهـــا نهـــر انـــت ا لجـــواد بهـــا والنـــاس في نعـــم[4]

(1) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز. تح: المثنى به محمد علي زينو، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 148.
(2) بلقاسم بن منيع، نزهة اللبيب في محاسن الحبيب. ص 36.
(3) المصدر نفسه، ص37.
(4) نفسه، ص 45.

فتم تقديم الجار والمجرور على الفاعل وذلك لإظهار وإعلاء مقام الرسول ﷺ لأنه هو المخاطب بها، والنهر تفجر اصلا له، فكل ارتياح أسلوبي يظهر التقديم كان لأجل المقتضيات المقامية التي قدمت هذا وأخرت ذاك.

– **تقديم الجار والمجرور على كل عناصر الجملة الفعلية:** من أهم عناصر التقديم والتأخير في الجملة الفعلية تقديم الجار والمجرور على كل عناصر الجملة الفعلية ومن أمثلة ذلك.

لــك الجنــان بــك ازدانــت حدائقــه والسلســبيل مــع التســنيم والــرنم[1]

انحرف الشاعر بالترتيب العام في اللغة، حيث قدم الجار والمجرور على أركان الجملة الفعلية ومنه قدم ذكر الأهم في الحلقة، فالجنة عندما تتزين كتزين العروس فرسول الله ﷺ هو أول داخل لها فهي تتزين له، ولذا اختار الشاعر بك ازدانت حدائقه والتقدير (ازدانت بك حدائقه).

تقديم شبه جملة خبر على المبتدأ: لقد استعمل الشاعر ابن منيع هذا النوع من التقديم وذلك لتأدية أغراض كثيرة منها الموسيقية والبلاغية والنحوية، وحتى يضفي تنوعا موسيقيا على نصه،.ومسحة بلاغية من أجل المتلقي الذي يبهره هذا التناغم المتنوع في النص الشعري يقول الشاعر:

باحمــد النــاس مــع جــن ومــع ملــك جمــع المحامــد مصــغ محاســن الشــيم[2]

تصدرت شبه الجملة بأحمد وتقديم شبه الجملة (بأحمد) يدل على ما خص به النبي ﷺ حيث جمع المحامد كلها وكل ما تفرق في الإنس والجن جمعه النبي عليه الصلاة والسلام بل يفوقهم جميعا حسنا خلقا وخلقا، وهذا التقديم كان أنسب بلاغة وأحسن قيلا موسيقى

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص44.
(2) المصدر نفسه، ص5.

لـــه الـــبراق وجبريـــل يصـــاحبه أم النبيـــين والأمـــلاك في حـــرم[1]

تصدرت شبه الجملة (له)، وهي تتكون من الام التي لها دلالة الاختصاص والاستخفاف، وضمير الغائب الهاء الذي يعود على رسول الله ﷺ، الذي أرسل الله له وسيلة نقل عجيبة سرى به من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى(البراق) فهو خاص برسول الله ولم يركب فيه رسول قبله واستحق النبي ذلك لمكانته عند ربه، فناسب ابن منيع أن يذكر شبه جملة متصدرة الجملة وذلك لغرض لفت انتباه المتلقي، أن العظمة والدهشة.ليست في البراق كوسيلة عجيبة في سرعتها، ولكن العجب كل العجب فيمن استحقها واختص بها دون غيره، فهذا الإنزياح الأسلوبي الذي عمد إليه ابن منيع من أجل إضفاء هذه الجمالية على القصيدة وبيان محاسن الرسول ﷺ من حيث الاستعمال اللغوي والعدول الأسلوبي مع المحافظة على النغم الموسيقي.

ج- الالتفات وعلاقته بالانزياح الأسلوبي في نزهة اللبيب

لقد شاع عند القدامى التحول من معنى لآخر أو من أسلوب إلى أسلوب مختلف أو من ضمير إلى آخر وهذا وذاك هو نوع من الالتفات فما هو الالتفات؟ ومتى ظهر؟

"الالتفات يعني في اصطلاح البلاغين التحول عن معنى لآخر أو عن ضمير إلى غيره، أو عن أسلوب لآخر، ويدور معناه في اللغة حول الانصراف عن الشيء".[2] و نجد "في موروثنا البلاغي والنقدي طائفة من المصطلحات التي تواردت مع مصطلح الالتفات في الدلالة على ظاهرة التحول الأسلوبي و مـــن بـــين هـــذه المصطلحات: (الصرف) و(العدول) و(الانصراف) و(التلون) و(مخالفة مقتضى الظاهر) و(شجاعة العربية وما إلى

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص37.
(2) فتح الله سليمان: الأسلوبية، ص 222.

ذلك).[1].

ونحن في هذا النوع من الانزياح الأسلوبي نريد أن نقف على نوع واحد من الالتفات، مشيرين إليه في الضمائر، وهذا الذي اختاره ابن رشيق في عمدته "الالتفات عنده يشمل التنويع بين الضمائر والانتقال من معنى إلى معنى.....".[2]

وللالتفات دلالة بلاغية حيث يأتي بغير ما لا يتوقعه المتلقي، فيحيله إلى إعمال فطنته وذكائه واستحضار نشاطه الذهني والعقلي، كما يواجه الرتابة والملل اللذين يحس بهما المتلقي، والشاعر ابن منيع نرى معه الانزياح الأسلوبي من خلال ضميري الغائب إلى المخاطب والمخاطب الى الغائب.

الالتفات من ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب :

فصل رب على هذا النبي ومن في سلكه الطاهر الزكي ينتظم[3]

قد التفت الشاعر ابن منيع من الخطاب في "فصل رب على" إلى الغيبة "في سلكه الطاهر الزكي ينتظم" بحيث نلاحظ بهذا الدعاء الذي توجه وتضرع به الشاعر إلى الله تعالى بالصلاة على رسوله ﷺ وهي قربة أمر بها الله تعالى عباده، يلتفت من المخاطب الى الغائب الذي هو رسول الله ﷺ، وزيادة التنوع في الأفعال من الأمر إلى المضارع (صل/ينتظم) تغير الأزمنة، وهنا يظهر أن الشاعر ابن منيع استطاع وتمكن من لفت انتباه المتلقي إلى تحريك القصيدة عبر الأزمنة المستعملة.

(1) حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية. دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1998، ص 11.
(2) حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية. ص 20.
(3) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص49.

فاستغفر واسأل البر الرحيم وقل مستشفعا بأجل ساكني للحرم

يا رب بالمصطفى أقبل وسيلتنا نفس لكربتنا من كل ما يصم[1]

فالشاعر انزاح بالضمير المخاطب الذي جاء بأفعال الأمر إلى ضمير الغيبة (بأجل ساكني للحرم) الذي هو الرسول ﷺ، وهذا هو العدول الأسلوبي بالضمائر فكان الالتفات في البيت الأول واتضح في البيت الثاني حبث ابتدأه بياء النداء، داعيا ربه (يا رب)، مخاطبا رب العالمين، فالتفت للغائب (هو) (بالمصطفى) ويعود إلى المخاطب مرة أخرى (أقبل وسيلتنا) (نفس لكربتنا من كل ما يصم) فانزاح الشاعر في وسط الكلام وعاد لبداية خطابه حيث يقول ابن رشيق في هذا الموضع.

"ومنزلة الالتفات في وسط البيت كمنزلة الاستطراد في آخر البيت، وإن كان ضده في التحصيل لأن الالتفات تأتي به عفوا وانتهازا ولم يكن لك في خلد فتقطع كلامك ثم تصله بعد إن شئت والاستطراد نقصد به نفسك،...، وأنت تحيد عنه في لفظك حتى تصل به كلامك عند انقطاع آخره أو تلقيه إلقاء وتعود إلى ما كنت فيه".[2]

الالتفات من الغائب إلى الخطاب

وللصحابة والأتباع نور هدى يغنيك سارية عمدا إلى الأضم[3]

بدأ ابن منيع بالحديث عن الغائب والمتمثل في ضمير هم (للصحابة الأتباع) فوصفهم وهم غياب، (نور، هدى) ثم التفت وعدل عن هذا الضمير إلى ضمير المخاطب (يغنيك سارية) فاستعمل فعل المضارع وهو يخاطب

(1) المصدر السابق، ص 45.

(2) ابن رشيق أبو الحسن: العمدة في محاسن الشعر وآدابه. ج3، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1422، 2001، ص 381.

(3) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 27.

بواقعه عمر يوم كان على المنبر وكان شخص سارية بينه وبين المدينة مسيرة شهر فنادى عمر يا سارية الجبل.

فهذا التنويع والالتفات في الأساليب والانزياح بالضمائر في البيت الواحد يبين مهارة ابن منيع ودربته في هذا الفن، حيث اغتنم الشاعر هذا الأسلوب ليضفي نسجا فنيا في قصيدته، ومن جراء هذه التنويعات البديعة التي يرتاح لها المتلقي وتترك أثرا جماليا وأسلوبا متميزا في نفسه، كان الالتفات حاضرا ولو بشيء قليل في القصيدة.

المبحث الثالث: المستوى البلاغي

إذا كانا المستويان السابقان قد أوفدا إلينا في طياتهما ما يضيئان به قصيدة المديح النبوي عند الشاعر بلقاسم بن منيع مما يجعلنا نفهم القصيدة ونتعايش معها، فإنّ الجانب البلاغي قد أكمل الإضاءة وأتمّ لنا الفهم من خلال خيال الشاعر الذي جعلنا نحلق في فضاء الصورة الشعرية، نتلمس ذلك من خلال التشبيهات ولمسة فنية من الاستعارات، وتعابير تحمل الكنايات، وأساليب متنوعة بين الإنشائي ومنعطفاته الدلالية وإيحاءاته التي حملت شفرات للمتلقي لفكها ومعرفة كنهها، ومشاهد تاريخية ترسم فسيفساء متنوعة أثبتت عبقرية فذّة وثقافة متشعبة، وتناص ديني وذوق شعري تمكنت من خلاله النصوص الغائبة من التلاقح وامتصاص بعضها بعضا، فأينعت وأثمرت قصيدة في مدح النبي المصطفى من قبل الشاعر بلقاسم بن منيع التاكساني.

فكيف رسم الصورة الشعرية التي بناها؟ وما مدى موقع الأساليب المتنوعة التي تبناها؟ وهل أثرى التناص قصيدته في مدلولها ومحتواها؟

1- الأساليب:

تختلف الأساليب التي يستعملها الناص وذلك تبعا لموضوع نصّه، فالغرض من النصّ هو الذّي يحدّد نوع الأسلوب، فأحيانا تطغى على النص الأساليب الإخبارية إذا كان غرض الناص هو الإخبار والإبلاغ المباشر عن حقائق تتعلق بشيء ما، وأحيانا أخرى تطغى الأساليب الإنشائية وذلك لما تتميز به هذه الأخيرة، وأحيانا أخرى يزاوج الناص بينهما حتى يكونا متقاربين، ولا ينظر للتفاوت البسيط بينهما.

الأسلوب الخبري: هو كلام يحتمل الصّدق والكذب لذاته بغضّ النظر عن خصوصية قائله، وعندما نمعن النظر في المدوّنة الشعرية للشّاعر بلقاسم بن منيع في مدح الرسول ﷺ نجده يسرد حقائق واقعة تتعلق به ﷺ، وتخبر عن

أسمائه المصطفوية، وصفاته النبوية، وفضائله الاخلاقية، ويسرد شيئا من تاريخ الرسول ﷺ وبعضا من معجزاته التي خصّه الله بها، وتشريفه بالشفاعة، وهو أوّل من يدخل الجنّة، فهذه المواضع لا يناسبها إلاّ الأسلوب الخبري، وممّا يدلّ على ذلك قول الشاعر:

محمّـــدٌ خـــيرُ محمـــودٍ بكـــلِّ مـــلَا ... علويّهـــا ســـكنَا والعـــرْبِ والعجـــمِ[1]

الشّـــــاهدُ العـــــدْلُ والمبْـــــرّزُ في ... يـــومِ التغـــابنِ عـــن تـــوافرِ الأمـــمِ[2]

رقيـــبُ شـــيعتِه في الـــورِدِ والصّـــدر ... مـــيقّظ الغـــافلين أو ذِوي الحلـــمِ[3]

لـــــهُ الـــــبراقُ وجبريـــــل يصـــــاحبه ... أمَّ النبيّـــينَ والأمـــلاكَ في حـــرمِ[4]

فها نحن نلحظ كيف يوزّع الشّاعر ابن منيع الأسلوب الخبري في ثنايا التاريخ الإسلامي والمعجزات النبوية والأسماء المحمّدية لأنّه الأسلوب الأليق لهذا المقام، والأنسب للغرض في الوصف والإخبار، فلا وجود للأسلوب الإنشائي هنا، و هناك سمة بارزة في الأسلوب الخبري عند ابن منيع في مدوّنته الشّعرية.

أسلوب النفي: كان لهذا الأسلوب حضوره، وتوزيعه في ثنايا القصيدة، فأحيانا نجد اسلوب النفي واحدا، وأحيانا أخرى يكثّف الشاعر من وجوده وذلك لتأدية وظيفته الإبلاغية ومتعته الجمالية.

المـــؤمنُ الـــرَّوْعُ للمرتـــاع عائـــذُه ... لا يخْتَشِـــى ضـــررًا ولا بمُخـــترَمِ[5]

ذاكَ المقـــامُ ولمْ يَقـــمْ بـــه بشـــرٌ ... مـــزنِ المحامـــدِ منهـــلٌ مـــنَ الأُمـــمِ[6]

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 04 .
(2) المصدر نفسه، ص 10.
(3) نفسه، ص 37.
(4) نفسه، ص 37.
(5) نفسه، ص 35.
(6) نفسه، ص 36

مـــا فـــاتَ أمَّ ســـليمٍ بعْـــدَ معـــترَفٍ من عرفِ خيرِ الورَى وطيبِ النسمِ[1]

ففي هذه الأبيات نرى أن النفي، يستخدمه الشاعر بغير كثافة، وذلك لغرض الإيضاح البلاغي للمخبر عنه ﷺ وللمتعة الجمالية، والنفي بعد الإثبات يترك أثرا في المتلقي:

فلـــنْ يهـــمَّ انتقامًـــا عنـــدَ مقْـــدِرةٍ مـــا لمْ يحُـــوم الجُفـــاةُ ســـاحةَ الحـــرمِ[2]

لم يـــدْرِ منـــهُ ارتحـــالٌ للعلـــومِ ومَـــا أتـــىَ بـــه البحـــرُ أو غـــزارةُ الـــدِّيمِ[3]

يقول الشّاعر بن منيع:

مـــا هـــالَ أمـــرُ ســـراقةَ ولا أُحـــدٍ ولا حنـــينُ ولا بـــدرٌ مـــن القـــرمِ[4]

و عند النظر والإحصاء في هذه الأبيات الثلاث السالفة الذكر يتبيّن لنا كثافة في استعمال أسلوب النفي، حيث يصل إلى استعماله أربع مرات، وهذا ما يريد الشاعر ابن منيع أن يوزعه على بعض الأبيات لتأدية غرضه الإخباري الإثباتي النافي لما يتعارض ويتناقض مع الحدث والخبر المخبر عنه، كما يوزع الشاعر أسلوب النفي في أبياته، حيث ينوع في أدوات النفي فينتقي من المدونة اللغوية ما يتلاءم مع الأفعال والأسماء، ويدرّ عليها أحيانا بالعطف حتى أخرج لنا حلية بلاغية بأساليب خبرية راقية، وهذا لاتكائه على بحر البلاغة العربية وعلمه بها.

الأسلوب الإنشائي: معروف عن الأساليب الإنشائية "تميزها بالحركية في مراحل النص إذا داخلته، وتعرب أكثر من غيرها من الأساليب عن حاجة الباث إلى مساهمة المتقبل الذي يتحول فيها من مجرد متقبل إلى طرف

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 46.
(2) المصدر نفسه، ص 15.
(3) نفسه، ص 28.
(4) نفسه، ص 32.

مشارك"[1]

و نحن إذ نقف مع هذا الأسلوب في المتن الشعري لبلقاسم بن منيع يبدو لنا تنوع في القصيدة يعتمد أكثر على الأسلوب الإنشائي الطلبي تحديدا، وهو مرتبط بحاجة الشّاعر حيث يقتضي هذا النوع الشعري طلبا ونداء واستغاثة وغيرها، مما سنلاحظه أثناء هذه الرحلة مع الشاعرا بن منيع في نزهة اللبيب.

– **الاستفهام**: هذا النوع من الاسلوب الانشائي له دلالات متعددة، ويذكر محمد الهادي الطرابلسي أن الاستفهام" لا يقتصر دوره على معنى الاستخبار وهو معناه الأصلي إلا في ظاهر التركيب."[2]

و للاستفهام حضور قليل في قصيدة الشاعر بن منيع لعدم وجود حاجة شديدة إليه من خلال الغرض، ولقد رصدنا بعض صوره مما ورد عند الشاعر:

نبي الملاحمِ كمْ قدْ قدَّ منْ بطلٍ ... وكمْ ميادينَ مثلَ موجِ ملتطم[3]

سلِ القياصرَ أو أكاسرَ العطبِ ... ياما تحامتْ حلولَ الباسِ والنّقمِ[4]

أفليسَ موسى الكليمُ باليُمنِ يُرى ... لحظَ الحبيبِ سوى الخطابِ لمْ يرَمِ[5]

هاذي الهواتفُ أفعمتْ أناشدَها ... كم أوفدتْ زعماً لساكنِ الحرمِ[6]

فهذه الاستفهامات التي طرحها الناص في نصه يريد من المتلقي أن يشاركه هذه الأسئلة، ولكن لا يريد منه إجابة، لأنّ النّاص أخرجها عن غرضها الظاهر في التركيب الذي يأتي بمعنى الاستخبار، بل يتعدى إلى معان

(1) فتح الله أحمد سليمان : الأسلوبية، مدخل نظري ودراسة تطبيقية. ص 69.
(2) المرجع نفسه، ص 70.
(3) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 07.
(4) المصدر نفسه، ص 08.
(5) نفسه، ص 37.
(6) نفسه، ص 41.

أخرى منها ؛إظهار مقام وشجاعة الرسول ﷺ وبسالته في القتال، وقد يراد منها العبرة والاتعاظ بالذي أصاب القياصر والأكاسر –الإمبراطوريتين العظيمتين– يوم وقفا في وجه نبيّ الإسلام، وهكذا نجد الشاعر ينوع الأغراض الاستفهامية ولا يعني بها الإجابة والاستخبار، بل الغرض الأسمى من استفهامات الناظم هو الخروج بها عن المألوف.

– **أسلوب الأمر**: "يعد أسلوب الأمر من الأساليب التي تنازع البحث فيها كل من النحاة والبلاغيين فهي شركة بينهما في موضوعها ثمّ تختلف طريقة المعالجة ولا انفصام بينهما".[1]

و قد يأتي أسلوب الأمر" بالمعنى الأصلي وطلب حصول شيء محدّد يوجه إلى المخاطب، وقد ينحرف وينزاح عن المعنى الأصلي إلى معنى آخر بلاغي يحمل دلالات مختلفة ندركها بالسياق، والأمر حين يرد في طوالع القصائد يعمل على تنبيه المتقبل وتنشيط ذهنه، ودعوته إلى التأمل، وقد لا يكون ثمة مأمور موجه إليه الأمر، بل المأمور في هذه الحالة هو الشاعر نفسه غالبا".[2]

و عند توقفنا مع قصيدة نزهة اللبيب للشاعر ابن منيع نلاحظ ورود أسلوب الأمر بتنويعات مختلفة، ومما ذكره الشاعر في هذا السياق:

فقِفْ على حدّ ذا النذيرِ ممتثلاً ... تفزْ بنيلِ المنَى وتنْجُ منْ عدمِ[3]

فاستغفرنّ واسألِ البرَّ الرحيمَ وقلْ ... مستشفعاً بأجلِّ ساكنِي الحرمِ[4]

يا ربِّ بالمصطفى اقبلْ وسيلتَنا ... نفِّسْ لكربْتِنا من كلِّ ما يصِمِ[5]

(1) أماني سليمان داود : الأسلوبية والصوفية، ص 135.
(2) فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية، مدخل نظري ودراسة تطبيقية. ص 70.
(3) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 18.
(4) المصدر نفسه، ص 19.
(5) نفسه، ص 20.

لـــذْ بـــالمهيمنِ في حـــلٍّ ومرتحـــلِ فإنّـــه شـــاهدٌ غـــدًا لجمعهـــمِ[1]

فصـــلِّ ربِّ علـــى هـــذا النـــبيِّ ومـــنْ في ســـلكِه الطـــاهرِ الزكـــيِّ ينـــتظمِ

و امـــنحْ رضـــاءَ الرضـــا الصـــديقَ مـــع عمـــرًا عثمـــان ثمّ علـــى قـــامع القـــدمِ

و اغفـــرْ لناظمهـــا وكـــلِّ قائلِهـــا وللمســـلمينَ بجـــاهِ فـــاتحِ الحـــرمِ[2]

يظهر في الأمر المستعمل عند الشاعر بلقاسم بن منيع أنه جاء بصفة المفرد ولم يستعمل الجمع، وهذا معلوم لأنّ الشاعر من خلال تتبع أبياته رأينا أنه قسمها إلى نوعين: أمر للمتلقي، وأمر لله رب العالمين.

فأمّا النّوع الأوّل الذي وجهه للمتلقي ويعرف ذلك بالسياق فهو نصح وإرشاد وتوجيه، والدّين النصيحة، فكان أمره هذا متمثلا في قول الشاعر:

فقـــف علـــى حـــدِّ ذا النـــذيرِ ممتـــثلاً تفـــزْ بنيـــلِ المـــنى وتـــنْجُ مـــن عـــدمِ[3]

فهو يأمره بالوقوف على أوامر رسول الله ﷺ وسنته وعدم تجاوز الحدود التي حدّها والشرع الذي شرّعه والدّين الذي وضحه، ونصح آخر يتمثل في اللجوء إلى محبة الرسول ﷺ وطاعته كي يفوز.

أمّا النوع الثاني من الأوامر فهو عبارة عن دعاء وتوسّل لله ربّ العالمين، كي يحقق معنى العبودية "وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠"[4]

ومعروف عند البلاغيين أنّ الأمر يكون من الأدنى إلى الأعلى التماسا، ومن العبد إلى الله دعاء وتضرّعا،

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 35.
(2) المصدر نفسه، ص 55.
(3) نفسه، ص 18.
(4) سورة غافر، الآية 60

ومنه نرى التنوع البلاغي الذّي أراد الشّاعر أن يوزعه على أسلوب الأمر أثمر وأينع دلالات بلاغية متنوعة، فعدل به عن معناه الأصلي إلى ما يدلّ عليه السياق.

– **أسلوب النداء:** وهو "طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب عن مناب (أنادي) المنقول من الخبر إلى الإنشاء، ومن أدوات النداء: يا، أيّها، أيا، وا، الهمزة...، والنداء يستعمل حالة خروجه عن معناه الأصلي بوصفه أداة تنشيط لنفس المتقبل وتهيئة لطول نفس الشاعر.[1]، يقول الشاعر بلقاسم بن منيع:

فصــلّ ربّ علــى هــذا النــبيِّ ومــنْ في ســلكهِ الطــاهرِ الزكــيّ ينــتظمِ[2]

و امــنحْ رضــاءَ الرضــى لصــديق مــع عمــرا عثمــان ثم علــي قــامع القــدمِ

و اغفــر لناظمهــا وكــل قائلهــا وللمســلمين بجــاه فــاتح الحــرم[3]

وقد حذف الشاعر هنا أداة النداء وكان الأصل فيه في صدر الأبيات يا رب صل، يا رب امنح، يا رب اغفر، ولكن لما كان المنادى هو الذات الإلهية قريب من قلب الناظم فهو يسمعه ويراه بل هو أقرب إليه من حبل الوريد "إذا كانت المسافة بين الخالق والمخلوق مسافة بعيدة فإنّ النداء من العبد لخالقه نداء للبعيد هذا حقيقيا كامنا في علوه سبحانه ... ولكن قد يكون تعبيرا عن القرب، ومنه تختصر المسافات فيتحول إلى وجه آخر نداء للقريب قربا حقيقيا كامنا في رحمة الله بعباده"[4]

(1) فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية، مدخل نظري ودراسة تطبيقية. ص 70.

(2) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 49.

(3) المصدر نفسه، ص 50.

(4) فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية، مدخل نظري ودراسة تطبيقية. ص 142.

و هذا الخروج الذي ذكر في الأبيات الأخيرة للناظم حذف الأداة لأنه يحس ويؤمن بالقرب، فكأنه لا مكان للمسافات بين المنادي والمنادى، ونظير ذلك قول الله في القرآن الكريم على لسان نبيّه زكرياء: " قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةٗۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ".[1]

و نلاحظ في أسلوب النداء أنّه يتضمّن منادي وهو هنا دائما الشّاعر حيث لم يحل الشاعر لشخص غيره، أمّا المنادى فجعله الشاعر متداولا بين الذات الإلهية، وهي أدعية واستغاثة وتضرّع، وبين المتلقي كي يجعله الشاعر مشاركا وناصحا له ومرشدا ومعينا على الحق المبين، ولكن الصوت الطاغي هو صوت الشاعر.

و عند استحضارنا لأسلوب النداء في المدونة الشعرية لبلقاسم بن منيع يظهر جليا أنّ الشاعر استعمل النداء استعمالا متنوعا، وإن كان قد استعمله حصريا وفي موضعين بأداة النداء، وفي مواضع قليلة حذفت الأداة وذلك لغرض بلاغي والسبب روحي وإيماني، ومن بعض ما قال الشاعر في هذا الصدد:

يـــاربَّ بالمصـــطفى اقبَـــلْ وســـيلتَنا نفّـسْ لكربتنـا مـن كـلّ مـا يصـمِ[2]

يـــا حسْـــنِ مـــدّخرٍ لخـــاتمِ الرســـلِ مـــا لمْ ينـــلْ آنفـــا بـــالبيع والسّـــلمِ[3]

ففي بداية البيت يلهج الشاعر بالنداء ويدعو ربه ويجعل المصطفى بينه وبين ربه بمكانته عند الله، فهو يسأل الله القبول وتنفيس الكربة، وفي النداء الثاني فهو يحمل التهنئة والبشارة للرسول ﷺ، حيث أعد وادّخر له ربه ما لم يخص به نبيّا مرسلا أو ملكا مقربا، فها أنت ترى كيف انعطف الشاعر ابن منيع بأسلوب النداء من تركيبه الظاهري إلى صيغة بلاغية وسمة أسلوبية جعلت العدول والانزياح البلاغي للشاعر يشيع تراكيب مشحونة بدلالات مختلفة تؤدي إلى تنشيط نفس المتقبل، وتهيئة طول نفس الشاعر، وهو في الوقت ذاته يجعل المتلقي

(1) سورة آل عمران، الآية 38.

(2) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 20.

(3) المصدر نفسه، ص 47.

يشارك في العملية الإنتاجية للدلالة، ولا يبق متفرجا سلبيا، حيث يستفزّه استفزازا إيجابيا فيعمد إلى إعمال فكره وذهنه.

أمّا المواضيع التي حذفت فيها الأداة فإن الشاعر يدعو الله أن يصلي على النبي محمد، وأن يمنح الرضا للخلفاء الراشدين الأربعة وأن يغفر له ولكل من قرأها ولجميع المسلمين.

و بعد هذا العرض الأسلوبي البلاغي مع الشاعر بلقاسم بن منيع الذي أظهر ألوانا من الأساليب بجملة من الأفانين ذات الاتجاه البلاغي والنحوي، مثل أسلوب النداء والأمر والاستفهام والأساليب الخبرية الكثيرة، كأسلوب الشرط والعرض والإشارة وأدواتها، والنفي وآلياته وغيرها من الأساليب اللغوية ذات الدلالات والإيحاءات المتعددة، فوقفنا على أسلوبين: الخبر والإنشاء من باب الذكر والتمثيل وليس الحصر والقصر، ورأينا توزيعات أسلوبية وتنويعات بلاغية.

2- الصورة الفنية وأثرها الدلالي في نزهة اللبيب في محاسن الحبيب

تأخذ القصيدة شاعريتها من الصورة المبثوثة في ربوعها وهي من مقومات الشعر والصورة "أداة الشاعر الفنية يعبر بها عن تجربته برسم مشاهد من حياته وواقعه"[1]

وذلك لما تتضمنّه من تشبيه ومجاز وكناية وتخيل وإيحاء ورمز...، وكل ما من شأنه أن يصور لوحة جمالية ترسخ في ذهن المتلقي، يتذوقها بحسه المرهف فيهتز كيانه ويتحرك وجدانه وهي عدول وانزياح عن الصورة الواقعية المتعارف عليها، و من هنا نريد أن نقف مع الشاعر بلقاسم بن منيع ومدى توظيفه للصورة الفنية وما موقع ذلك في شعره؟

(1) علي غريب محمد الشاوي: الصورة الشعرية عند الأعمى تطيلي. مكتبة الآداب، مصر، ط1، 2003، ص 26.

– التشبيه: لقد أولى الأدباء عناية كبيرة بالتشبيه، وذلك لأهميته في إبداعاتهم ومدى ملاءمته في تقريب الواقع وإضفاء الجمال على الجمل والتراكيب، وتبعهم في ذلك النقاد" والتشبيه هو الوصف بأنّ أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه."[1]

ويتفق البلاغيون قديما وحديثا على كون التشبيه "عقدا من عقود المماثلة بين أمرين أو طرفين بغية اشتراكهما في صفة أو أكثر دون إيقاع مماثلة تامة بينهما، إذ لا يكون المشبه هو عين المشبه به بحال من الأحوال"[2].

وبالعودة إلى منظومة الشاعر بلقاسم ابن منيع لا نعثر على كثير تشبيه، ولعلّ المقام الذّي كان الشّاعر يجمع ويذكر فيه أسماء الرسول ﷺ ويوردها تقربا بها لم يحضر التشبيه كثيرا، ونذكر:

نـبي الملاحـمِ كـمْ قـدْ قـدَّ مـنْ بطـلٍ وكـمْ ميـادينَ مثـلَ مـوجِ مُلـتطمِ[3]

فهذا التشبيه الوارد الذي ذكره الشاعر(ميادين)وأداة التشبيه التي هي اسم (مثل) والمشبه به (تلاطم الموج)، حيث شبه الشاعر الميادين التي خاضها نبي الملاحم ﷺ كموج البحر الملتطم الذي تعلو فيه الأمواج بعضها بعضا وتتلاطم فيما بينها فلا يرى الرائي إلاّ الموج وهو متلاطم ظاهر للعيان ولا شيء سواه، ووجه الشبه هو الظهور والارتفاع، حيث لا أحد يقف في وجه الأمواج عند تلاطمها.

و الغرض المؤدى من هذا التشبيه هو بيان حال الرسول ﷺ وهو المشبه وغلبته والميادين التي خاضها ﷺ وذكر شجاعته ومواقفه في تلك الميادين التي جرت فيها معارك قتالية ومدى صبر النبي في المواقف ووصف الصحابة له كثيرا في كتب السنة والسيرة النبوية بذلك.

(1) محمد أبو شوارب، أحمد المصري: قطوف بلاغية. دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2006، ص09.
(2) مختار عطية: علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع، دراسة بلاغية. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، دط، 2004، ص20.
(3) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 07.

ذو قـــوَّةٍ والـــبلاغُ عـــن معارضـــةٍ ترمـــي لهـــا شـــرر اكعـــاليَ الأطـــمِ[1]

يعمد الشاعر إلى الشرر المرمي بالأطم في علوه، وهو تشبيه حسي مدرك بالحواس، والمشبه به وهو عالي الأطم، وأداة التشبيه وهي حرف الكاف وذلك لغرض بيان حال المشبه وكذلك من أجل تمكينه في ذهن المتلقي مع مدحه وتحسينه، وهذا التشبيه الذي عمد إليه الشاعر اعتمد في تناصه مع القرآن الكريم، حيث يقول الله تعالى:"إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾"[2].

شبه الشاعر بلقاسم بن منيع الشرر وهو جمع شررة وهو ما يتطاير من النار عند التهابها متفرقا، ووجه الشبه حيث السهام التي فرقت حزب الضلالة في قوتها وظهورها، وكل ذلك مدح للذي جعله الله فرقانا فرق به بين الحق والباطل والإيمان والكفر...

وإنمـــا شـــاهدتُ ســـيما محاســـنه كمـا يُشـاهد في السّـما ضـوء أنجـمِ[3]

يجنح الناظم في هذه الصورة إلى تشبيه محاسن الرسول ﷺ بالأنجم في السماء عندما يظهر سناها، وهنا يذكر الناظم المتلقي ويبعث إليه بمدى جمال أخلاق الرسول وحسن سلوكه تماما مثل حسن الزينة التي في السماء"وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ "[4]

و غرض الشاعر من هذا التشبيه إظهار محاسن الرسول وهي ظاهرة واضحة بينة لكل ذي عينين إلاّ من أنكرها، وهذا التشبيه له وقع معنوي كبير في المتلقي، لأنّه يجعله يعمل فكره وعقله، ويلحظ بعينيه ليدرك هذا

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب.، ص 26.
(2) سورة المرسلات، الآية 32.
(3) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 49.
(4) سورة الملك، الآية 05.

التشبيه الذي ضربه الشاعر في مدح الرسول ﷺ.

و من هذا التشبيه ندرك تنوع التشبيه بين الحسي والمعنوي، وصياغته في قوالب متنوعة ليضع تخيلات عند المتلقي لإدراك قيمة الرسول ﷺ، فتكثيف المعاني والتعبير عنها من قبل الشاعر وهو يرسم لوحة للرسول ﷺ بألفاظ قليلة مختصرة دون أن يصيب المتلقي أي ملل، هي تنبيهات أراد الشاعر عن طريقها إثارة جمال المتلقي من حيث بعث الحياة في الجماد وتجسيد المعنوي برسم صورة خيالية.

– **الاستعارة:** لقد فرضت الاستعارة نفسها في الصورة البيانية فحفل بها البلاغيون، واهتم بها الأدباء والشعراء في رسم لوحاتهم وتوسيع أخيلة متلقيهم، وتعرض لها النقاد، كل ذلك لموقعها في خريطة البيان، ومع ذلك كله اختلفوا في تعريفها: فقد عرفها الجاحظ بقوله:" الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه."[1]، وعرفها ابن المعتز بقوله:"استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء عرف بها."[2]

و لعلّ النقلة الحقيقية لمفهوم الاستعارة كانت على يدي عبد القاهر الجرجاني، "و ظلت فكرة النقل مسيطرة على مفهوم الاستعارة حتى جاء عبد القاهر الجرجاني وركز على فكرة أخرى هي فكرة المشابهة حيث قال:(... الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه)"[3]

و هذا ما نحاول معرفته في المدونة الشعرية للشاعر بلقاسم بن منيع حيث يقول:

العاقـبُ المقتفـي الـذي بـه انتظمـتْ شمـلُ المحاسـن مـن سـامٍ ومنكـتمِ[4]

هنا استعارة تصريحية، حيث صرح بلفظ المشبه به فعلا، وتجسدت في الفعل (انتظمت)، والصفة (شمل

(1) محمد أبو شوارب، محمد المصري: قطوف بلاغية. ص 67.
(2) المرجع نفسه، ص 68.
(3) نفسه، ص 68.
(4) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 10.

المحاسن) وحذف المشبه وهو (النبي ﷺ) :

بـذلك المصـلحِ الهـادي قـدْ انتُشِـلتْ وُسـطى البريئـةِ مـن معاطـبِ الظلـمِ[1]

و هنا استعارة تصريحية، حيث صرح بلفظ المشبه به فعلا وتجسدت في الفعل (انتشلت) وحذف المشبه به وهو الرسول ﷺ، الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور، والذي أنقذ الله به الناس.

فلـــنْ يهـــمّ انتقامـــا عنـــدَ مقـــدرةٍ مـــا لم يحـــومُ الجفـــاةُ ســـاحةَ الحـــرَمُ[2]

هنا استعارة مكنية، حيث حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الجناح على سبيل الاستعارة المكنية.

و من هنا نلاحظ أنّ الشاعر بلقاسم بن منيع قد أحسن توظيف الاستعارة، فلم يلجأ إليها كثيرا، ولكن عند نقل الشعور النفسي للمتلقي يستعمل التعبير الاستعاري لأنه الأقدر على جعل المتلقي يتذوق القيمة الجمالية، من خلال إثراء لغوي وإبداع فني جذاب، وبالاستعارة جعلنا الشاعر بن منيع نعيش المفاجأة والمباغتة، بالخروج عن المألوف حيث نعيش مع معجمين مختلفين دلاليا، ومكّن المتلقي أن يكون ذواقا صاحب فكر ونظر لأساليب اللغة.

– الكناية: وهي من أهم الصور البيانية والفنية، حيث يستعملها المبدع من أجل الانعطاف والانزياح الدلالي، ويعرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله:" إنها إرادة المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله عليه، وهي عنده أبلغ من التصريح لما تنطوي عليه من الإفادة والاتساع[3]."

و عندما نقلب البصر في المدونة الشعرية للشاعر لابن منيع:

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 14.

(2) المصدر نفسه، ص 15.

(3) مختار عطية: علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع، دراسة بلاغية. ص 129.

وصـــاحبُ الحـــوض للـــورود عـــن ظمـــأ يطفـــي حريقـــا لـــدى الأحشـــاء يضـــطرم[1]

وهي كناية على ما يصيب الناس من ظمأ، وكأنه حريق، فلا يذهب ذلك إلاّ الورود على الحوض والشرب منه. نسأل الله ألاّ يحرمنا ورود حوض نبيه ﷺ، فالشاعر لم يذكر هذا صراحة، ولكن أومأ إليه، وهو بذلك يكسب المعنى دلالة أوضح من التصريح.

إذ بـــالرؤوف الـــرحيم نيـــل مكرمـــة نـــبي رحمتنـــا ذو الصـــفح والـــثجمِ[2]

هذه الكناية التي أتى بها الشاعر تعني أن النبي ﷺ كان يعفو ويصفح ويتجاوز ويرحم، حيث يقول (نبي رحمتنا ذو الصفح والشجم)، وهذه حقيقة ماثلة فقد عفا النبي ﷺ عمّن أساء إليه وقبل اعتذار المعتذرين وتجاوز عن المخطئين.

أعظـــمْ بـــذا آيـــة الأمـــيّ معجـــزةً في أمّـــةِ العـــرب لم تخـــطُ بـــالقلم[3]

قوله (في أمة العرب لم تخط بالقلم) كناية عن أنّ هذه الأمة العربية أمّية وأنّها لم تتعلّم، فأومأ إلى الخطّ وإلى القلم كناية على أنها لم ترفع قلما، ومن باب أولى من لم يرفع قلما لن يكتب خطا، والخط هو الكتابة.

أرأيت إلى الشاعر بلقاسم بن منيع وهو يغترف من بحر البلاغة العربية ما يضيء به الطريق لمتلقي قصيدته، حيث أظهر الإيماء والرّمز في مواطن ولم يصرّح بما يريد واكتفى بالتلميح كي يضفي الجمال والمتعة على قصيدته في مواطن أخرى، لكسر الجمود فيها، فعدل إلى التلميح بما استدعاه الخطاب وغاياته، فرأينا الانزياح اللغوي وهو يحقق المبالغة في الوصف، وتحقيق الفصاحة، وهذا كله من محاسن الكناية.

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 40.
(2) المصدر نفسه، ص 15.
(3) نفسه، ص 27.

3- التناص:

إن ظاهرة التناص في الشعر العربي الحديث تشكل بعدا فنيا وإجراء أسلوبيا يكشف عن التفاعل بين النصوص الحديثة والقديمة، إذ يقوم بتحويل النصوص السابقة وتمثيلها بنص موحد يجمع الحاضر والغائب، وينسج بطريقة تتناسب وكل قارئ مديح.

والتناص ظاهرة نصية عامة لا يخلو منها أي جنس أدبي قديم أو حديث... كما عرف الأدب العربي القديم هذه الظاهرة، وخاصة في الخطاب الشعري، وكانت أبرز مظاهره آنذاك تضمين بعض القصائد الشعرية شيئا من القرآن والحديث النبوي الشريف، وكان التناص موجودا بين الشعراء على العبارة أحيانا وعلى مستوى الفكرة أحيانا أخرى.[1]

و هذا المصطلح الحديث ظهر مع الناقدة الباحثة "جوليا كريستيفا" البلغارية الأصل الفرنسية الجنسية حيث يذكر ذلك الأستاذ الباحث نور الدين السد " ظهر على يد الباحثة جوليا كرستيفا في عدة أبحاث لها بين سنتي 1966 1967... تقول كريستيفا :(إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص تشرب وتحول إلى نصوص أخرى، فهذا التقاطع في النصوص الموجودة في النص الواحد عمد إليها الناص ليبثها في نصه، فعلى المتلقي أن يبحث عنها ويفتش في بواطن النصوص، وهذه لا تتم لأي متلق إلاّ إذا كان متسلحا بسلاح المعرفة والثقافة المتعددة."[2]

يقول الأستاذ نور الدين السد: " فالمتلقي المتمرس يدرك الثابت والمتغير في الخطاب الجديد، ومن خلال عملية التناص يتم التواصل مع نصوص سابقة وعبرها يكون حضورها، وكأن النص الأدبي ينفتح عبر كثافة التناص

(1) محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه. منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص 103.
(2) نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب. ج1، دار هومة، الجزائر، دط، 1997، ص 6.

على أفق لامتناه، ومن هنا تكون الغرابة والألفة في النص الأدبي، وتتحقق هذه المعادلة في وقت واحد.[1]

أمّا على مستوى المدونة الشعرية بلقاسم بن منيع فكانت المصادر متمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية والشعر القديم.

التناص الديني:

المصدر الديني هو من أعظم المصادر التي يستوحي منها الشعراء صورهم النفسية، لأنه يتعلق بما ليس عند البشر، بل بما عند الله، ولذلك نجد هذا المصدر يترك دائما قوة عزيزة مهيبة، في نفس المتلقي، ولما له من أثر في نفوس أفراد الأمّة تعلق به الشعراء فضمّنوه قصائدهم في مدح الرسول ﷺ لأنه المصدر الأول ولأنهم يستقون منه كل ما يتعلق بشخص الرسول ﷺ في مدحه.

القرآن الكريم: عند إنتاج الشاعر بلقاسم بن منيع لنزهته اعتمد على القرآن الكريم، وذلك عن طريق تقنية الاقتباس والتضمين أو ما يسمى بالتناص، وكلّ ذلك من أجل إحداث تغيير في متلقي نزهة اللبيب.

و يظهر الأثر القرآني في مواطن كثيرة من نزهة اللبيب، وسنضرب أمثلة على ذلك، ومن أجل توجيه الأنظار إلى المتن الشعري وتناصاته يقول الشاعر:

تاهتْ به من حلى للنحرِ عن حورٍ عيناءُ خالدة الفردوس والأطمِ[2]

"ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ "[3]

(1) نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب. ص 104.

(2) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 05.

(3) سورة المؤمنون، الآية 11.

بحـدّ صـارم ذا الجبّـار قـد قهـرت خلـفَ الفـراعين مـن عـادٍ ومـن إرم[1]

"أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧ "[2]

الشـاهدُ العـدلُ والفـردُ المـبرزُ في يـوم التغـابن عـن تـوافرِ الأمـم[3]

"يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ "[4]

طـه المطهـرُ هادينـا إلى سـننٍ وخـيرُ منتصـبٍ شـكراً علـى نعـمِ[5]

" طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ "[6]

ياسـين إنسـان أعـينُ الوجـودِ بـه منـاهجُ الرشـدِ أضـواءٌ علـى علـمِ[7]

" يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ "[8]

بـذلك المصـلحِ الهـادي قـد انتشـلتْ وسـطى البريئـةِ مـن معاطـبِ الظلـمِ[9]

"إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ "[10]

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيب في محاسن الحبيب. ص 09.
(2) سورة الفجر، الآيتان 6، 7.
(3) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيب في محاسن الحبيب. ص10.
(4) سورة التغابن، الآية 09.
(5) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيب في محاسن الحبيب. ص 11.
(6) سورة طه، الآيتان 1،2.
(7) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيب في محاسن الحبيب. ص 11.
(8) سورة يس، الآيتان 1،2.
(9) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيب في محاسن الحبيب. ص 14.
(10) سورة البينة، الآية 6.

رجـا المسـيح اقتفـاءه وقـد سـلك في عقـد أمتـه وأيـن منـتظمِ[1]

" لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ"[2]

إذ بـالرؤوف الـرحيم نيـل مكرمـة نـبي رحمتنـا ذو الصـفح والـثجم[3]

" لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ "[4]

فقـف علـى حـد ذا النـذير ممتـثلا تفـز بنيـل المـنى وتـنج مـن عـدم[5]

" يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥[6]

فهـو السـراج المنـير ضـوء غرتـه باري شموسا صحت من آية السخمِ[7]

"وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ "[8]

الصـادق النبـأ الـذي بـه لهجـت عـوالم الجـنّ والإنسـان والـنَّعم[9]

" عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ٢ "[10]

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 15.
(2) سورة المائدة، الآية 17.
(3) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 15.
(4) سورة التوبة، الآية 129.
(5) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 18.
(6) سورة الأحزاب، الآية 45.
(7) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 24.
(8) سورة الأحزاب، الآية 46.
(9) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 25.
(10) سورة النبأ، الآيتان 1، 2.

بشـرى لنـا قـدمُ الصـدقِ الشـفيعِ إذا مـا هـالَ أمـرٌ ونـوطُ الـروحِ منخـرمِ[1]

" قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ۝٢ "[2]

لقد تأثر الشاعر بن منيع بالبيان القرآني أيما تأثر وانعكس ذلك جليا على أبياته التي يحاول أن يستمدها من القرآن العظيم، ومنه نلحظ التناص القرآني الذي نهل منه الشاعر والذي استعمله بكثافة ويدل على تمكنه من كتاب الله كيف لا وهو العالم والفقيه الشرعي قبل اللغوي والبلاغي، فهو لا يحاول أن يستمد فقط اللفظ والصياغة بل يحاول أن يحيي بالمعاني القرآنية نصه الشعري.

السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي: اعتمد الشاعر ابن منيع على المصادر التاريخية وهي سيرة المصطفى التي يمكن تصنيفها ضمن المصادر التاريخية إلاّ أن الأهمية التي لاقتها والحظوة التي نالتها جعلت الطعن فيها أشبة بالطعن في الحديث الشريف، ناهيك عن بعض من سيرته المبثوثة في كتب السنة كالصحيحين وكتب السنن وغيرها، فأضفى الشاعر روحا ملحمية من خلالها طاف خياله في رحاب السنة المطهرة، فأنتج خطابا شعريا غمسه في السنة النبوية والمصادر التاريخية، فأصبغ عليه هالة من القداسة.

ومن جملته ما يتقاطع ويتناص مع السيرة النبوية والتاريخ، نذكر نماذج من أبياته للاستئناس والبرهنة لا للإحصاء:

مـا هـال أمـر سـراقة ولا أحـد ولا حنـين ولا بـدر مـن القـدم[3]

و ذلك لما خرج رسول الله ﷺ مع أبي بكر مهاجرين وأرسلت قريش مائة بعير لمن يأتي برسول الله وصاحبه وخرج سراقة يتتبع فيقول: " بينما أنا جالس في مجلس من مجالس قوم بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال يا سراقة: (فعرفت أنهم هم: فقلت له إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا إنطلقوا

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 25.

(2) سورة يونس، الآية 2.

(3) صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم. دار الكتاب الحديث، بيروت، لبنان، د ط، 2011، ص 143.

بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج فرسي، وهي من وراء أكمه... فناديتهم بالأمان"(4)

قصة غزوة بدر ذكرت في كتب السيرة بكثير من التفصيل، ومنها ابن هشام وهي أول غزوة غزاها الرسول ﷺ، وفيها شرع القتال وهي الفرقان وأنزلت ملائكة الرحمن تقاتل مع المسلمين " سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان بن حرب مقبلا من الشام في عير لقريش..." [1]

مع غزوة أحد ثاني غزواته والتي وقع للمسلمين فيها بسبب خسران الجولة " فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب "[2]

وذكره في غزوة حنين وكانت بعد الفتح المبين " لما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة جمعها مالك بن عوف الحصري فاجتمع له مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بني بكر..."[3]

لـــه الـــبراق وجبريـــل يصـــاحبه أم النبئـــين والأمـــلاك في حـــرم[4]

هذه إشارة إلى معجزة الإسراء والمعراج وذكر البراق وهي الدابة والوسيلة التي اختارها الله لرسوله للإسراء عليها وصلاته إماما بإخوانه الأنبياء، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : " أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يربط بها

(1) القاضي عياض: كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى. ج1، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، دط، 2006، ص 224.
(2) المرجع نفسه، ص 226.
(3) عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري: السيرة النبوية. دار البيان العربي، مصر 2005، ص 144.
(4) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 37.

الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين..."[1]

و في حديث أبي هريرة ﷺ: " وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فحانت الصلاة فأممتهم فقال قائل يامحمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه، فالتفت فبدأني بالسلام"[2]

وصاحب الحوض للورود عن ظمأ يطفي حريقا لدى الأحشاء يضطرم[3]

و هذه إشارة إلى حوض رسول الله ﷺ.

و مما روى الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" بينما أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ، قلت لجبريل ما هذا؟، قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله، قال: ثم ضرب بيده إلى طبتنه فاستخرج مشكاة.[4]

ما بالُ إيوان كسرى عن ضخامته ينهالُ تمثالُه واللبُّ في وهمِ[5]

و هذه من الإرهاصات التي وقعت ليلة مولده، يقول أحمد شهاب الدين الخفاجي شارحا الشفا للقاضي عياض " وما جرى من العجائب في ليلة مولده فيما رواه البيهقي من ارتجاج وتحرك إيوان كسرى من الملك العظيم المعد لجلوسه من وزرائه لفصل الأمور، وسقوط شرفاته بعدد من ملك من أولاده بعد ظهور الإسلام أربعة عشر، وغيض بحيرة طبرية بلدة بالشام معروفة من الأرض المقدسة، وخمود نار الفرس وانطفائها ليلة ميلاده، وكان كسرى وأتباعه يعبدونها ويرمون فيها المسك والعنبر ولهم بها فتنة عظيمة وقصتها مذكورة في السير المشهورة "[6]

(1) عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري: السيرة النبوية. ج4، ص 37.
(2) المرجع نفسه، ج3، ص 03.
(3) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 40.
(4) القاضي عياض، كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى. ج1، ص 257.
(5) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 40.
(6) أحمد شهاب الدين الخفاجي: نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض. ج3، المطبعة الأزهرية، مصر، ط3، 1328 هـ، ص279.

أبـــو الأطايـــب إبـــراهيم قـــاسمهم مـــــن وارد أو لا منشـــأ ومخـــترم[1]

عبـــد الإلـــه وزينـــب رقيـــتهم وأم كلثـــومَ في غـــنى عـــنِ الكـــتمِ[2]

و هنا يورد الشاعر ابن منيع أسماء أولاد رسول الله ﷺ " كان البيت النبوي في مكة قبل الهجرة يتألف منه ﷺ ومن زوجته بنت خويلد رضي الله عنها تزوجها وهو في الخامس والعشرين من عمره، وهي في الأربعين، وهي أول من تزوجها من النساء، ولم يتزوج عليها غيرها وكان له منها أبناء وبنات.

أمّا الأبناء فلم يعش منهم أحد، وأمّا البنات فهن: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، فأما زينب فتزوجها قبل الهجرة ابن خالتها أبو العاص بن ربيع، وأما رقية وأم كلثوم فتزوجهما عثمان بن عفان رضي الله عنه الواحدة بعد الأخرى، وأمّا فاطمة فتزوجها علي بن أبي طالب بين بدر وأحد، ومنها كان الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم"[3]

التناص الشعري: كثيرة هي الحالات التي يتلاقى فيها الشعراء شعرا، وذلك عندما يتأثر شاعر بآخر فتراه ينظم على منواله قافية ووزنا، أسلوبا وتركيبا، موضوعا وفكرا، وهذا الذي يصطلح عليه التناص، فما مدى شيوع التناص الشعري عند الشاعر ابن منيع في مدونته الشعرية؟ هذا ما نحاول أن نقف على بعض منه:

محمـــدٌ خـــيرُ محمـــود بكـــلِّ مـــلا علويّهـــا ســـكنا والعـــرب والعجـــم[4]

هذا البيت مأخوذ من قول حسان بن ثابت الأنصاري:

فضـــمّ الإلـــهُ اســـمَ النـــبيِّ إلى اسمِـــه إذا قـــالَ في الخمـــسِ المـــؤذّن أشـــهدُ

وشـــق لـــه مـــن اسمـــه ليجلّـــه فـــذو العـــرش محمـــود وهـــذا محمـــد[5]

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 46.
(2) المصدر نفسه، ص 46.
(3) صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم. ص 406.
(4) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 04.
(5) حسان ابن ثابت: الديوان. ص 42.

و قوله:

سـلِ القياصـرَ أو أكاسـرَ العطـبِ يا ما تحامت حلولَ البأسِ و النقمِ[1]

مأخوذ من قول البوصيري:

يـوم تفـرّسُ فيـه الفـرسُ أنهـمُ قـد أنـذروا بحلـولِ البـأسِ والـنقمِ[2]

و قوله:

محمـد خـير محمـود بكـل مـلا علويّهـا سـكنا والعـرب والعجـم[3]

مأخوذ من قول البوصيري:

محمـد سـيد الكـونين والثقلـين والفـريقين مـن عـرب ومـن عجـم[4]

من خلال هذا التناص الشعري نقف على مخزون الشاعر ابن منيع، حيث تنوع التناص وتنوعت المصادر التي استقى منها، وبذلك أثبت الشاعر أنه لم يك مجرّد مؤرخ ناظم، بل شاعر يكنّ بين جوارحه للنبي ﷺ كلّ مشاعر الحب والفخر والاعتزاز والتقديس، ويملك بين جنانه بديهة شعرية حاضرة اغترفت من معين اللغة العربية الصافي قبل ان تكدره شوائب التحديث والإفراط والتغريب.

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 08.

(2) محمد سليمان الجزولي: دلائل الخيرات. دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 2014، ص173

(3) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 04.

(4) محمد سليمان الجزولي: دلائل الخيرات. ص170

المبحث الرابع: المستوى المعجمي

تنهل الدراسة الأسلوبية من مستويات عدّة متنوّعة يكمّل بعضها بعضا، فالانطلاقة كانت مع الدراسة الصوتية، ثمّ الوقوف مع اللفتات الصرفية والنحوية، ليأتي الدور على الدراسة المعجمية، متسائلين عن الإضافة التي يقدّمها المستوى المعجمي للدراسة الأسلوبية.

وبعد الإحصاء والتجميع أحصينا معجمين طاغيين كانت لهما الغلبة ومالت نحوهما الكفّة هما (معجم الأسماء ومعجم الأمكنة)، ومن خلالهما عكفنا على جعل كلّ واحد منهما ينفتح على نفسه، فإذا بنا أمام أسماء معجمية متعدّدة، حيث أنّ القصيدة في مدح خير البرية وذكر تعداد أسمائه المصطفوية وألقابه النبوية، كان التأثير لها والكثرة اتجاهها، ثمّ معجم أسماء الله الحسنى والصحابة الأخيار، والملائكة الكرام، وغيرها ممّا يذكر في حينه.

أمّا معجم الأماكن فحلّق فيه الشاعر بجناح الشّوق والهيام إلى حضرة سيد الأنام، متذكّرا بعضا من أماكن وطأتها قدماه أو عاشها بفؤاده وروحه، فكانت لنا معها تقسيمات، ونذكر في ختام المستوى جدولا إحصائيا للمعجمين السابقين الذين ذكرا.

لقد عهد الشاعر بلقاسم بن ابن منيع إلى تنوع أضفاه على قصيدته الميمية التي تغنى فيها بأسماء النبي، ومدحه وذكر محاسنه، وأماكن مقدسة زارها أو وقعت له في معارك وغزوات مع أعدائه، فالدارس المتتبع لهذه النزهة المحمدية يقف على أسماء الرسول ﷺ متنوعة حيث نجدها **صبت** في قالب واحد وتمشي في سيل واحد فكلها تتغنى بذكر محامده عليه الصلاة والسلام ومحاسنه، انطلاقا من أسمائه وصفاته التي عرف بها في القرآن الكريم، وذكرت في السنة المطهرة، والتي ذكرها علماء السيرة والتاريخ، ومن علماء السيرة الذين عنوا بذلك: الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية للترميذي، ودلائل النبوة للبيهقي، ورسائل الوصول إلى شمائل الرسول ليوسف

النبهاني، وقد ذكر صاحب هذه الرسالة أن لرسول الله ﷺ أسماء كثيرة، وقد ألف جلال الدين السيوطي، رسالة سماها: البهجة السنية في الأسماء النبوية جمع فيها نحو خمسمائة إسم[1]،

وذكر صاحب كتاب أحكام القرآن أن بعضهم أوصلها إلى الف اسم حيث يقول: "إن الله سبحانه وتعالى خطط النبي بخططه، وعدد له أسماء والشيء إذا عظم قدره عظمت أسماؤه، قال بعض الصوفية: "لله تعالى ألف اسم، وللنبي ألف اسم...، وأما أسماء النبي ﷺ فلم أحصيها إلا من جهة الورود الظاهر لصيغة الأسماء...[2]

قال النبهاني " والذي أتبته في كلام شيخنا –يعني الحافظ السخاوي– في القول البديع والقاضي عياض في الشفاء وابن العربي في القبسي والأحكام وابن سيد الناس...وغيرهم يزيد على الأربعمائة"[3]

ومن هنا فقد سلكنا في اختيارنا للمعجم الدلالي للقصيدة وسيلتين أولاهما: هو الطريق الذي تنهجه أغلب الدراسات التي تتطرق للمعاجم الشعرية في الدراسة الأسلوبية، وهو ذلك الذي يقوم على الكم الإحصائي للمفردات التي تتم عدها في مجموعات تنتمي إلى حقل معين، مثل معجم الأسماء، معجم الأمكنة –معجم الطبيعة، معجم الحب، معجم الحرب، وهذا يختلف باختلاف النمط السائد في النص الأدبي، والطاغي عليه.

ثانيهما: هي الإشارة التي تمت في المقدمة والتي من خلالها تتم اختيار عدد الأبيات المدروسة من القصيدة وذلك تم وفقا للأسماء، والأماكن: فجعلناهما معجمي الدلالة في القصيدة فما وجدناه طاغيا في النص هو أسماء الرسول ﷺ

(1) النبهاني يوسف: وسائل الوصول إلى شمائل الرسول. دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 1970، ص34.
(2) أبو بكر ابن العربي: أحكام القرآن. ج4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص580.
(3) النبهاني: وسائل الوصول إلى شمائل الرسول. ص ص34 –35.

1-المعجم الإسمي:

عرفت قصيدةابن منيع تكثيفا اسميا، ولاغرب في ذلك فهي مدح وذكر لأسماء النبي ﷺ تم إطلاق عليه المصطلح الاسمي فضم إحصاء ورصيدا لأسماء وألقاب الرسول ﷺ في المدونة الشعرية ثم أسماء الله الحسنى رغم قلنها تم اسماء الرسول والأنبياء وآل بيت النبي، وأسماء الصحابة وأسماء الملائكة وأسماء القبائل وأسماء أخرى متفرقة.

أسماء الرسول ﷺ: نستطيع القول أن أسماء الرسول ﷺ كثيرة ومتنوعة واختلف العلماء في إحصائها وهذا التعدد والتنوع يدل على شرف المسمى فقدسماه ربه بأسماء فورد بعضها في القرآن الكريم وبعضها ورد في الكتب السابقة وعلى لسان الأنبياء ومنها ما أخبر به المصطفى ﷺ عن نفسه، ومنها ما استنبطه العلماء من صفاته وألقابه. وذكرنا ذلك في بداية دراسةالمستوى المعجمي وعند العودة للنص الشعري لابن منيع نجد أنه انتقى له من الألقاب والأسماء والصفات ما يليق بشخص الممدوح، فمن هذه الأسماء ما ذكر في القصيدة مرة واحدة ومنها ما ذكر مرتين والثلاثة، ومنها الأكثر من ذلك، ولا يمكن الإحاطة بجميعها، وقدرنا مقام الدراسة ومنهجية البحث، ولكن نعرج على بعض منها على سبيل التمثيل والبيان "ونذكر أننا وزعنا هذه الأسماء في جدول إحصائي في آخر الدراسة المعجمية.

محمد هو علم وصفة اجتمعا في حقه عليه السلام ومحص علم لغيره....وهو أعظم أسمائه وأشرفها وأشهرها لأنبائه عن كمال الحمد المنبئ عن كمال ذاته، فهو المحمود مرة بعد مرة عند الله وعند الملائكة وعند الجن والإنس وأهل السماوات والأرض وأمنه الحامدون وبيده لواء الحمد يوم القيامة وأن اسم محمد مما سماه بها جده، وقد تم ذكر هذا الإسم في القرآن أربع (4) مرات.

يقول القاضي عياض في شفائه "محمد مفعّل مبالغة من كثرة الحمد، فهو أجلّ من حمد وأفضل من حُمد"[1]

وقد ذكر الشاعر ابن مديح اسم محمد.

محمـــد خـــير محمـــود بكـــل مـــلا علوبهـــا ســـكنا والعـــرب والعجـــم[2]

ذكرنا أن هذه المدونة الشعرية هي عبارة عن مدح نبوي ذكرت في المحاسن البنيوية والأسماء المصطفوية، فقد اختار الشاعر اسم محمد ليجعله أول اسم يورد في مدحه، وهذا فيما نحسب تعمد من الشاعر، ذكره مرة واحدة في القصيدة، ولعل ذلك لكون من لا يجهل اسم محمدﷺ.

أحمد: يقول ابن منيع في تعليقه على الهامش "قيل هو أعظم أسمائه عليه السلام وهو إسمه في السموات وسره، أن الملأ الأعلى لما كانو دائمي العبادات لا يفترون قيل لهم وأن حمدتم الله على الأبد فصاحب هذا الإسم أحمد الحامدين وأجل المحمودين، ففيه من النبوة بقدر هذا الرسول العظيم"[3].

وقد ذكر اسم أحمد مرة في القرآن الكريم في معرض الحديث عن بشارة الأنبياء به حيث قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ "[4].

أما في المدونة الشعرية للشاعر ابن منيع قد ذكر مرة واحدة، وذلك في قوله:

باحمـد النـاس مـع جـن ومـع ملـك جمـع لمحامـد مضـغ محامـد الشـيم[5]

(1) القاضي عياض: كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى. ج1، ص207.
(2) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص4.
(3) المصدر نفسه، ص05.
(4) سورة الصف، الآية 06.
(5) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص05.

المصطفى: أحصينا لهذا الاسم وروده خمس مرات، ولقد كان من بين الأسماء التي قوي حضورها عند الشاعر بلقاسم ابن منيع في نزهة اللبيب:

ومن رجا المصطفى وجاء معتذرا ينال ما يرتجي بغامر النعم[1]

يا رب بالمصطفى اقبل وسيلتنا نفس لكربتنا من كل ما يصم[2]

فالمصطفى الخل والحبيب من عرجا به معارج لم تدرك ولم تسم[3]

ومصطفى الله في الاخيار من مضر لولاه ما فتحت اغلاق منعدم[4]

هذا مديح لدى نجوى ومسألة لحضرة المصطفى ذي الجود والكرم[5]

النبي: هذا اللقب الرباني وهذا الوصف الإلهي ليس مقتصرا على نبينا محمد ﷺ. بل هو له ولإخوانه الأنبياء ممن اختارهم الله لهذا المقام الأسمى، ولذا لم يردكثيراعند الشاعر بلقاسم بن منيع التاكساني في مدحه لرسول الله فذكرت مرة نبي الملاحم، وذكرت مرتين لوحدها. ونبي الملاحم هي من أسماء رسول الله ﷺ حيث اورد ذلك القاضي عياض في كتابه الشفاء بتعريف حقوق المصطفى "لي عشرة من الأسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الأول قال، أنا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وأنا المقفى"[6]

حيث يقول الشاعر ابن منيع:

نبي الملاحم قد قدمن من بطل وكم ميادين مثل موج ملتطم[7]

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص07.
(2) المصدر نفسه، ص20.
(3) نفسه، ص23
(4) نفسه، ص33.
(5) نفسه، ص49.
(6) القاضي عياض: كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى. ج1، ص261.
(7) بلقاسم بن منيع، نزهة اللبيب في محاسن الحبيب، ص7.

مكـــين قـــدر نـــبي الله مـــن رفعـــت أعـــلام ذكـــر لـــه في غـــابر الأمـــم[1]

فصـــل رب علـــى هـــذا النـــبي ومـــن في ســـلكه الطـــاهر الزكـــي ينـــتظم[2]

يذكر بلقاسم بن منيع في الهامش "والنبي من أسمائه عليه السلام حازها بالغلبة، ونبي فعيل بمعنى فاعل أو مفعول وبالهمز أو التخفيف وكل يضم إرادته لأنه عليه الصلاة والسلام مرفوع الرتبة حسا ومعنى دنيا وأخرى رافع رتبة من اتبعه كذلك ومنبئ للخلق عن الحق بهذا تظهر معاني الأبيات"[3]

وهذا الإسم مكرر في القرآن حيث خاطب الله رسوله ﷺ في آيات عدة في القرآن الكريم بلغت ثلاثا وأربعين في القرآن[4]

الرؤوف الرحيم: ومن أسماء النبي ﷺ الرؤوف الرحيم "بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك فقال: بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ "[5]

وهما من أسماء الله الحسنى وسما بهما نبيه ﷺ، وذكر القاضي عياض في هذا الموضوع قولا لطيفا ننقله كما ورد لأهمية وفائدته "فاعلم أن الله تعالى خص كثيرا من الأنبياء بكرامة خلعها عليهم من أسمائه كتسمية إسحاق وإسماعيل بعليم وحليم. وإبراهيم بحليم، ونوح بشكور، وعيسى ويحي ببرّ، وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم، وأيوب بصابر، وإسماعيل بصادق الوعد، كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل نبينا محمدا ﷺ بأن حلاّه منها في كتابه العزيز، وعلى ألسنة أنبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد إعمال الفكر

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص26.

(2) المصدر نفسه، ص49.

(3) نفسه، ص ص26-27.

(4) محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الجبل، بيروت، لبنان، دط، دت، ص ص687-686.

(5) سورة التوبة، الآية 28.

وإحضار الذكر، إذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين"[1]

يقول بلقاسم ابن منيع:

إذ بـــالرؤوف الـــرحيم نيـــل مكرمـــة نـــبي رحمتنـــا ذو الصـــفح والـــثجم[2]

ويذكر ابن منيع في هامش نزهته:

"الرؤوف الرحيم ونبي الرحمة من أسمائه عليه أزكى تحية وأتى به على وجه التعليل للبيت قبله ليأخذ النظم بحجرة بعضه بعضا وأتى بعد جملة خطيرة مما تشير إليه هذه الأسماء العظيمة وإلا فجميع الرحمات دنيوية واخروية قليلها وجليلها جملتها وتفصيلها بواسطته عليه السلام لكن هذه المذكورة بواسطته وعلى يده مباشرة فاستحقت الإشارة إليها والتقديم على غيرها"[3]، والشاعر لم يرد هذا الإسم إلا مرة واحدة في قصيدته، ولعلنا نكتفي بإيراد هذه الأسماء المحمدية الخمسة التي أوردها الشاعر بلقاسما بن منيع في مدونته الشعرية.

أسماء الله الحسنى: كما سبقت الإشارة إليه فإن أسماء الله الحسنى لم يردها الناظم إلا ما تعلق منها باسم الرسول، أو ما كان دعاء إلى الله رب العالمين، ولكن أردنا أن نذكر اسمين من اسماء الله الحسنى للإشارة إليها وهما:

الله: لفظ الجلالة وردت في القصيدة مرتين، وكل منهما كان تابعا اما لاسم النبي أو الرسول، فيقول الشاعر بلقاسم ابن منيع:

مكـــين قـــدر نـــبي الله مـــن رفعـــت أعـــلام ذكـــر لـــه في غـــابر الأمـــم[4]

مصـــطفى الله في الأخيـــار مـــن مضـــر لـــولاه مـــا فتحـــت أغـــلاق منعـــدم[5]

(1) القاضي عياض: كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى. ج1، ص ص263-264.
(2) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص 15
(3) المصدر نفسه، ص 15
(4) نفسه، ص26.
(5) نفسه، ص33.

ها هو الشاعر يذكر إسم الله لفظ الجلالة بعد ذكر النبي في البيت الأول وبعد ذكر المصطفى في البيت الثاني، وذلك في نظرنا لأسباب عدة نذكر منها؛ تطعيما منه لمعجم الأسماء في مدونته الشعرية، بالأسماء الحسنى والصفات العلى وكذا تركيزه على أسماء الرسول لئلا يخرج عن الغرض العام، والوحدة العضوية للقصيدة، وكذلك لإعلاء مكانة الرسول ﷺ وعظيم قدره كما أراد الله له ذلك، حين قرن اسمه باسم نبيه عليه السلام في الأذان والإقامة وعند دخول الجنة وغيرها.

الرب:وهو اسم من أسماء الله الحسنى سمى الله به ذاته العلية، وذكره النبي في سنته، وبينته أدعية وتضرعات الأنبياء في القرآن الكريم.

ولقد سجلنا لهذا الإسم حضورا قليلا في القصيدة ولعل إيرادنا للعلل السابقة يكون دليلا لذلك، حيث ذكره الشاعر مرتين ظاهرا وفي حدود تحليلنا رأينا أنه أضمره على الأقل مرتين حيث يقول:

يـــارب بالمصـــطفى أقبـــل وســـيلتنا نفـس لكربتنـا مـن كـل مـا يصـم[1]

فصـــلّ رب علـــى هـــذا النـــبي ومـــن في ســـلكه الطـــاهر الزكـــي ينـــتظم[2]

وأضمره عندما قال :

وامنح رضاء الرضى الصديق مع عمرا عثمـــان ثم علـــي قـــامع القـــدم[3]

واعفـــر لناظمهـــا وكـــل قائلهـــا والمســـلمين بجـــاه فـــاتح الحـــرم[4]

لأن تقدير الكلام محذوف وهو قوله (يارب وامنح، يارب واغفر).

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب.، ص20.
(2) المصدر نفسه، ص49.
(3) نفسه، ص50.
(4) نفسه، ص50.

أسماء الرسل: لقد ضمّن الشاعر بالقاسم ابن منيع معجم الأسماء بعضا من الرسل مثل موسى وعيسى وابو الخليقة، فمنهم من ذكر اسمه ومنهم من ذكره بصفاته، وعرج على اثنين منهما على سبيل التمثيل والبيان، وكان لزاما على الشاعر أن يستعرض بعضا من إخوانه المرسلين لأن جميعهم دعاة لله رب العالمين، ويذكر الشاعر بعضا منهم، إشارة لمراحلهم واكرام الله لهم، وجعل النبي ﷺ خاتمهم.

الكليم: هي من الصفات التي عرف بها موسى عليه السلام حيث وصفه الله بهذا الإسم "وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾ "[1] ولعل الشاعر أومأ إلى أمر خفي، فيقارن بين كلام الله لموسى في الأرض، وبين كلام الله لمحمد ﷺ في الحضرة الالهية يوم استدعاه إليه فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ "[2]

وبعد الجرد والإحصاء وجدنا أن الشاعر استعملها في مدونته مرتين وذلك في قوله:

إن كـــان عـــيس روحـــا وصـــفوته ابـــو الخليفـــة والكلـــيم بـــالكلم[3]

افلـيس موسـى الكلـيم بـاليمن يـرى لحظ الحبيب سوى خطاب لم يرم[4]

والشاعر ابن منيع عرج على معجم الرسل لا لذكرهم جميعا أوالوقوف على معجزاتهم، ولكن لبيان بعضا منهم وما فصلهم الله به، كما قال الله تعالى :"تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ "[5]

(1) سورة النساء، الآية 164.

(2) سورة النجم، الآية 10.

(3) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص38.

(4) المصدر نفسه، ص37.

(5) سورة البقرة، الآية 253.

المسيح: "هو عيسى ابن مريم، ورد ذكره في القرآن الكريم بلقب المسيح " لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ "[1]

وأورد الشاعر ابن منيع في قصيدته هذا الإسم مرتين هما:

رجـا المسـيح اقتفـاءه وقـد سـلكا في عقـد أمتـه وايـن منـتظم[2]

بشـرى المسـيح ودعـوة الخليـل ومـن في الآخـرين بـه زكـت نـوادهم[3]

ولعل الشاعرذكر المسيح لأنه بشر برسول الله ﷺ مصداقا لقوله تعالى " مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ سحر مبين "[4]

أسماء الملائكة

جبريل:ذكر في القرآن الكريم بهذا الإسم حيث قال الله تعالى" مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ "[5]، وهو أمين السماء وبهذا اللقب والصفة ذكره الشاعر بن منيع وذكره كذلك بجبريل وبعد عملية إحصائية عثرنا على ذكره لثلاث مرات بإسمه وأخرى يصفه وحي السماء وهو من الملائكة المقربة، حيث يقول الشاعر بلقاسم ابن منيع :

(1) سورة المائدة، الآية 17.
(2) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص15.
(3) المصدر نفسه، ص15.
(4) سورة الصف، الآية 6.
(5) سورة البقرة الآية 97.

أمـين وحـي السـماء جبريـل شـاهده ثم الخوافـق والأركـان مـن حـرم[1]

جبريـل صـاحبه والـوحي عمدتـه والحـق بغيتـه سـرى وان يقـم[2]

لـه الـبراق وجبريـل بصـاحبه أم النبيـين والامـلاك في حـرم[3]

هذه الإشارات والمحطات التي ذكر الشاعر فيها جبريل عليه السلام أمين السماء لما له من ميزة تميزه عن غيره من الملائكة، وهو الذي كان ينزل القران على قلب النبي الكريم ﷺ، فذكر من الملائكة لوحده، لانه يغنى عن غيره.

أسماء الصحابة : لقد عرج الشاعر بلقاسم ابن منيع على ذكر أسماء بعض أصحاب الرسول ﷺ فذكر قصة أم سليم مع رسول الله، وفي آخر قصيدته تضرع إلى الله عز وجل بالترضي على الخلفاء الراشدين المهديين، فتعمد ذكر هؤلاء الأربعة حتى يغنو عن ذكر البقية، وذلك لمكانتهم من رسول الله ﷺ، والنصوص التي ثبتت في حقهم، وما ينبغي علينا اتجاههم. وكذلك لأنه ذكر الصحابة.ذكرا عاما ولما أتى على ذكر الخلفاء الاربعة كا ن تفصيلا وتخصيصا لما جاء عاما مجملا حيث قال في المجمل العام :

وللصـحابة والأتبـاع نـور هـدى يغنيـك سـاريه عمـدا إلى الأضـم[4]

وحيث عمم فذكر كل من شرف بلقب الصحابي، وفضل الصحبة، ثم ذكرحتى التابعين للحديث الذي شملهم.وأومأ الشاعر في بيته الى سارية وجبل الاضم الذي التجأ اليه[5].

الصديق: ونعني به أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه صاحب رسول الله في الغار" إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ

(1) بلقاسم بن منيع نزهة البيب في محاسن الحبيب ص26

(2) المصدر نفسه، ص26

(3) نفسه، ص37

(4) نفسه. ص27

(5) نفسه، 27

مَعَنَا "[1] قدم الكثير للاسلام وذلك من خلال التضحيات الكثيرة مع الرسول ﷺ، أومن خلال خلافته، وحروب الردة التي خاضها مع المرتدين في سبيل إحياء فريضة الزكاة حتى راحت تعرف باسم الصديق، ويوم الهجرة إذ هيأ أسرته كاملة في خدمة الدعوة فاصبحت قدوة للأسر بعدها.

عمر بن الخطاب: وهو الذي لقبه رسول الله ﷺ بالفاروق يوم فرق به بين الحق والباطل، وتولى خلافة الأمة بعد ابي بكر رضي الله عنهم جميعا واشتهر في التاريخ بالعدل واتسعت الفتوحات الاسلامية في خلافته حتى فتحت بيت المقدس وتسلم مفاتيحها، يقول الشاعر بلقاسم ابن منيع

وامنح رضاء الرضى الصديق مع عمرا عثمـــان ثم علـــي قـــامع القـــدم[2]

ففي هذا البيت يتضرع الشاعر ويدعو الله أن يترضى عن أبي بكر الصديق ﷺ وأرضاه وذكره بلقبه لا باسمه ،وذلك للدلالة التي يحملها هذا اللقب وهي قيمة خلقية عظيمة ما أحوجنا إلى النظر بالقلوب والعقول فيها، ويرسل الشاعر ههنا برسالة للمتلقي للإهتمام بهذه القيمة، والأمة تحتاج إلى هذا القيم لبعثها من جديد، وثنّى بعمر بن الخطاب، وثلث بعثمان بن عفان وختم برابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب ﷺ وعن بيت النبي صلى الله عنه وسلم.

أسماء آل بيت النبي صلى الله عنه وسلم :

حمزة أخ النبي من الرضاعة وعمه ﷺ وأرضاه، وهو سيد الشهداء سقط شهيدا يوم أحد، بحربة وحشي بأمر وتوجيه من هند بنت عتبة زوج أبي سفيان، ذكره الشاعر في ميميته وبعث به رسائل للمتلقين للرمزية الشديدة التي يحملها المسلمون لهذا الرجل، فيقول الشاعر بلقاسم ابن منيع :

(1) سورة التوبة، الآية 40.

(2) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص50.

لـو كـان وزن القصـاص في الـورى مـثلا ماكـان عـدل لحمـزة لحـين رمـي[1]

فهو يريد أن يذكر المتلقي بمكانة الصحابي الجليل حمزة عم الرسول ﷺ وما يتحلى به من شجاعة وإقدام وجرأة، واستشهاده كانت خسارة كبرى للمسلمين؛وكما ذكرنا سابقا أن طريقة موته ليس من العدل أن يمثل به من قبل هند حيث بقر بطنه." عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة يوم استشهد فنظر إلي منظر لم ير الى شئ اقط كان أوجع لقلبه منه، ونظر اليه وقد مثل به فقال: رحمة الله تعالى عليك فإنك كنت ما علمت وصولا للرحم فعولا للخيرات ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أتركك حتى يحشرك الله تعالى من أرواح شتى، أما والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل عليه السلام والنبي واقف بخواتيم النحل "وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به" إلى آخرها فكفر ﷺ عن يمينه وأمسك عن الذي أراد وصبر"[2]

إبراهيم: هو ولد رسول الله عليه وسلم أمه مارية القبطية التي أهداها المقوقس حاكم مصر إلى رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ " ولد لي الليلة مولود سميته باسم أبي ابراهيم "[3]

عاش مدة ثم مات، وحزن عليه النبي ﷺ حتى دمعت عيناه وخشع قلبه، ولحكمة أرادها الحكيم العليم لم يعش له من أبنائه الذكور أحد، يقول الشاعر ابن منيع:

أبـــو الأطايـــب ابـــراهيم قـــاسمهم مـــــن وارد أو لانشـــــأ ومخـــــترم[4]

هذان العلمان أردنا إثباتها في معجم آل بيت النبي ﷺ

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص19.

(2) شهاب الدين الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ج5، دار الحديث، القاهرة، 2005م، ص644.

(3) ابن القيم الجوزية: تحفة المودود بأحكام المولود، الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر، ط1، 2006، ص145.

(4) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص46.

أسماء القبائل:

قريش: هي القبيلة الكبرى التي ينتمي إليها رسول الله ﷺ، وتتكون قريش من عدة بطون وهي المعمرة في شبه الجزيرة العربية والتي نزل القرآن على لسانها، وفخر النبي بالانتساب إليها كما ذكر الشاعر بلقاسم ابن منيع، وبعد الإحصاء نبين أن الشاعر ذكرها مرتين هما:

وصاحب التاج تاج الرسل من فخرت بـــه قـــريش ذو البطـــاح والحـــرم[1]

فـــالعرب مبـــدؤه قـــريش عترتـــه والمنشـــأ الحـــرم المغـــني بـــذي حـــرم[2]

وهذا هو جزء من نسب رسول الله ﷺ وإليك نسب الرسول في جزئه المتفق عليه: "محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسمه شيبه – بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف – واسمه المغيرة- بن قصي واسمه زيد –بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر –وهو الملقب بقريش وإليه تنسب القبيلة – بن مالك بن النضر واسمه قيس-بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسمه عامر بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان"[3].

عاد:وهي قبيلة عربية من العرب البائدة ذكرها الله في القرآن الكريم بالقوة والنحت في الأرض والهندسة المعمارية " أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ "[4]، بعث الله إليها هودا عليه السلام، فعرج على ذكرها الشاعر بلقاسم ابن منيع قائلا:

بحـــد صـــارم ذا الجبـــار قـــد قهـــرت خلـق الفـراعين مـن عـاد ومـن إرم[5]

(1) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص37.

(2) المصدر نفسه، ص46.

(3) صفي الرحمان المباركفوري، الرحيق المختوم، ص55.

(4) سورة الشعراء، الآيات 128، 129، 130.

(5) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص9.

وهذه إشارة منه وإيماء إلى التداول الانهيار في الأمم كما هو الحال في أعمار الإنسان وكل مخلوق، وتلك سنة الله فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لها تحويلا.

أسماء الله الحسنى	أسماء الرسول	أسماء الرسل	أسماء الصحابة	أسماء آل البيت	أسماء الملائكة	القبائل والشعوب	أسماء أخرى
الكريم، الرحيم، الله، رب، الإله،	محمد، أحمد، ماح، نبي، المصطفى، الحاشر، الشاهد، العدل، المبرز، الفرد، رقيب، العاقب، طه، ياسين، الهاشمي، الهادي، الرؤوف الرحيم، الكريم، النذير، الحبيب، السراج، المنير، الصادق، الشفيع، الأمين، مكين، ذو قوة، نبي الملاحم، إمام المتقين، المختار، قائد الغر المحجلين، العليم، الخبير، الفاتح، المؤمن، المهيمن، الشفيع، المشفع، صاحب النعل، الرسول، صاحب الحوض، رسول، أول	المسيح عيسى، أبو الخليفة الكليم، الخليل موسى	سراقة أم سليم الصديق عمر عثمان علي	حمزة ابو الأطايب ابراهيم قاسمهم عبد الإله زينب رقية أم كلثوم	جبريل، أمين وحي السماء	عاد إرم مضر قريش	قياصر أكاسر الفراعين الشيخ كسرى العرب العجم

	الداخلين للجنان، مشفعا، الجواد، البشير، خاتم الرسل، فاتح الحرم، الصادق الوعد، ذو كرم، عظيم مجد.						

2- المعجم المكاني

الأماكن المذكورة في المديح النبوي عند بن منيع بلقاسم مختلفة ومتنوعة، فمنها ماهو مشاهد في هذه الدنيا ومنها ماهو غيبي لا نراه في الدنيا ولكن نؤمن به لأن الله أو النبي ﷺ قد أخبر به.

من الأماكن المشاهدة والتي أوردها الشاعر بلقاسم بن منيع " الحل، الحرم، الكعبة، المقام، البطاح، مكة الوهاد..."، ومن الأماكن الغيبية "الفردوس، الكوثر، الجنان السلسبيل، التسنيم، نهر الجنان"

وعندما نلاحظ القسم الأول من هذه الأماكن، نجدها أماكن مباركة كان الشاعر يريد أن يلقي بها في روع المتلقي لقدسيتها، وبأنها جزء من سيرته، وكيف ينبغي علينا النظر إليها لأن تعظيمها هو من تعظيم النبي ﷺ، وقلوبنا تهوى إلى تلك الأماكن المباركة، حتى نمشي في رباها، وكأننا بذلك نستحضر رسول الله ﷺ، وقد ذكر ذلك القاضي عياض في شفائه "وجدير بمواطن عمرت بالوحي والتنزيل، وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على سيد البشر...أن تعظم أماكنها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها"[1].

أما القسم الثاني من معجم الأماكن فنجد لها دلالات قوية؛ فهي تتعلق بالجنة بل الفردوس، لأن النبي ﷺ

(1) القاضي عياض: كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى. ج2، ص341.

قال: " إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ يُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ. "[1]

فهو ما تهوى إليه الأنفس وعمل المؤمن في هذه الدنيا من أجل أن يصير إلى الجنة فالدنيا ممر والآخرة مقر، من أجل هذا زاوج الشاعر بن منيع بلقاسم بين معجم الأماكن المشاهدة والغائبة، حتى يضفي روحانية على قصيدته ويجعل القلوب تتعلق بالآخرة، فهو يقول حب الرسول ومدحه يُدخل الجنة، ويشفع فيك المشفع ﷺ.

معجم الاماكن المشاهدة:

الحرم: عند النظر والفحص في كلمة الحرم والإحصاء نجد تعددها في قصيدة الشاعر ابن منيع، ويقصد بها المسجد الحرام، حيث يقول الله تعالى: "سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا..."[2]

وقد استعمل الشاعر هذه الكلمة إحدى عشر مرة وهذا الإستعمال المتعمد نتيجة لما لهذا المكان من قدسية ومكانة رفيعة عند الله ثم عند الناس، حيث هو مأوى الأفئدة وحج بيت الله الحرام، أما موقعه في الحياة النبوية، فبجواره ولد رسول الله ﷺ، لذا كان التكرار مفتعلا ومقصودا، يقول الشاعر بن منيع:

ماج لدعوى ضلال الشرك والغير مطهرا لبقاع الحل والحرم[3]

وقد قمنا برصد إحصاء لها فوردت مرتين في البيت الواحد حيث يقول الشاعر ابن منيع:

فالعرب مبدؤوه قريش عترته والمنشأ الحرم المغني بذي حرم[4]

(1) الألباني محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزيادته. تح: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1408هـ، ص592.
(2) سورة الإسراء، الآية 01.
(3) بلقاسم بن منيع : نزهة للبيت في محاسن الحبيب. ص07
(4) المصدر نفسه، ص46

-**أُحد**: وهو المكان الذي وقعت فيه الغزوة التي تنسب له، فهو ليس ببعيد عن مسجد رسول الله ﷺ وبه سقط شهداء المعركة وعلى رأسهم حمزة سيد الشهداء، وكان النبي يزور هذا المكان ويستغفر للشهداء الذين استشهدوا فيه.

-**بدر**: وهو الآخر مكان بين مكة والمدينة، على أرضه وقعت أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ في السنة الثانية للهجرة، وسميت الفرقان.

-**حنين**: إشارة لغزوة حنين التي لم يقع فيها قتال وعاتب الله فيها عباده المؤمنين عتاب المربي للأجيال "لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ "[1].

وهذه الأماكن الثلاثة المذكورة سلفا جمعها الشاعر في بيت واحد إذ يقول:

فـــالعرب مبـــدؤوه قـــريش عترتـــه والمنشـــأ الحـــرم المغـــني بـــذي حـــرم[2]

-**إيوان كسرى**: وهو المكان المعد لجلوس حاكم الفرس مع وزارئه وحاشيته وأعيان بلده، ذكره الشاعر مع البقاع المقدسة، ليعرج على ليلة ولادته وما رافقها من إرهاصات، ثم ليلقي بأخرى في قلب المتلقي كي يقارن بين هذا المكان وبين الأماكن الأخرى الطاهرة المقدسة، ويديم النظر بفكره، حيث يقول الشاعر بن منيع:

مـا بـال إيـوان كسـرى عـن ضـخامته ينهـــال تمثالـــه واللـــب في وهـــم[3]

(1) سورة التوبة، الآية 25

(2) بلقاسم بن منيع: نزهة اللبيب في محاسن الحبيب. ص321

(3) المصدر نفسه، ص41.

معجم الأماكن الغيبية: هذه الأماكن لم نرها في الدنيا لكن نؤمن بها، لما أخبر به الله ورسوله، وبهذا مدح الله المتقين.

-**الفردوس:** وتقصد بها الجنة؛ فإذا كانت النار دركات فإن الجنة درجات، ولهذا شحذ الله عزائمنا ورفع هممنا ورغّبنا فيها، حيث قال: "إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلاً ﴿١٠٧﴾ "[1] وجمعها فراديس.

والمعجم الشعري لابن منيع قد عرج على ذكر الجنان والفردوس، وهذا أمر عادي لأنه يطمح أن يكون من أهلها، وما مدحه لرسول الله بهذه النزهة إلا تقربا من الله بأن يدخله الفردوس، ويجعل المتلقي يدرك أن مصيره إما إلى الجنة أو النار، فيقول الشاعر:

تاهت به من حلى للنحر عن حور ... عيناء خالدة الفردوس والأطم[2]

ويقول ابن منيع أيضا:

وبالفراديس قد راقت مكانته ... عن مدرك العقل في مراتب القيم[3]

ويقول أيضا:

واول الداخلين للجنان غدا ... مستشفعا مشفعا من نازل النقم[4]

لك الجنان بك ازدانت حدائقه ... والسلسبيل مع التنسيم والرنم[5]

(1) سورة الكهف، الآية 107.
(2) بلقاسم بن منيع: نزهة اللبيب في محاسن الحبيب، ص5
(3) المصدر نفسه، ص27
(4) نفسه، ص44
(5) نفسه، ص44

-**الكوثر(نهر الجنان)**: وهو نهر في الجنة أعطاه الله لنبيه ﷺ "إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ "[1]، من شرب منه لا يظمأ أبدا، يقول الشاعر:

في حـــين مـــا وردوا لكـــوثر نهـــلا سـيما تميـزهم في الـدهم والـبهم[2]

ويقول الشاعر أيضا:

وصـاحب الحـوض للـورود عـن ضـمإ يطغى حريقا لدى الأحشاء يضطرم[3]

ووصفه كذلك نهر الجنان ومن أسمائه الحوض كذلك.

جدول إحصائي للمعجم الإسمي عند الشاعر بلقاسم إبن منيع :

أسماء الاماكن الغيبية	أسماء الاماكن المشاهدة
الفردوس	الحرم ، الحل
الكوثر	الكعبة ، أحد
الجنان	حنين ، بدر
السلسبيل	البطاح، بطاح مكة
التسنيم	بقاع ، الوهاد
نهر الجنان	إيوان، البحر
حدائقه	عرين الليث
نهر	

(1) سورة الكوثر، الآيتان 1،2.

(2) بلقاسم بن منيع: نزهة اللبيب في محاسن الحبيب. ص30

(3) المصدر نفسه، ص40

خاتمة

وبعد أن انتهينا من الدراسة النظرية والتطبيقية في رحاب المديح النبوي الشريف مع الشاعر بلقاسم بن منيع التاكساني ووقفنا على أهم مباحثه وقضاياه، سجلنا جملة من النتائج والملاحظات منها:

– المديح النبوي من المواضيع التي اهتم بها شعراء الجزائر قديما وحديثا، وذلك للمكانة الكبيرة التي يحضى بها رسول الله عند الشعب الجزائري.

– كثيرة هي القضايا الأسلوبية التي تجد لنفسها موقعا في قصيدة نزهة اللبيب في محاسن الحبيب، مما يؤهلها ان تكون أرضا خصبة للدراسات القديمة والحديثة.

– ظهور بعض الظواهر اللغوية والمميزات الأسلوبية كانعكاس طبيعي لعاطفة الشاعر.

– انتهج بلقاسم بن منيع سنن الأقدمين في اعتماده البحور الشعرية السائدة أنذاك فنظم قصيدته وفق القديم.

– طغيان الأصوات المجهورة على المهموسة وهذا شأن الأقدمين.

– تعدد الصيغ الصرفية والتنويع في استعمالاتها ودلالاتها لأجل إظهار المعنى، والكشف عن جماليات النص وذلك من خلال المزاوجة بين الصيغ الفعلية والإسمية.

– التراكيب المستعملة والتنويع في توظيفها أظهر تفوق الشاعر من ناحية اللغة، وهكذا تشكلت لغة شعرية قوية.

–قضية الحذف من أهم وسائل الاتساق النصي التي أضفت على القصيدة قيمة بلاغية وإبلاغية.

– التقديم والتأخير ظاهرة أسلوبية تؤدي غرضا بلاغيا جماليا وصوتيا موسيقيا.

– الضمير وموقعه في القصيدة والانزياح الذي أحدثه.

– تناص القصيدة مع النصوص الدينية المؤسسة (القرآن، الحديث، السيرة النبوية، التاريخ)، والموروث الشعري. مما

يدل على سعة ثقافة واطلاع الشاعر بلقاسم بن منيع التاكساني

- تنوع الحقول الدلالية أدى إلى إثراء المعجم الشعري في القصيدة مع الإكتفاء بمعجمي الأسماء والأماكن.

- قصيدة الشاعر ابن منيع تعد حقلا خصبا للدارسين والباحثين ولما حوته من إغراءات لغوية صالحة للدراسة النقدية الحديثة.

هذه هي أهم الملاحظات التي رصدناها في خاتمة بحثنا، آملين أن نكون قد وفقنا لما نصبو إليه.

وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه المئاب.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم براوية حفص عن عاصم.

قائمة المصادر والمراجع

أ-المصادر:

1. بلقاسم بن منيع: نزهة اللبيب في محاسن الحبيب، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة، الجزائر، دط، 1926.

ب- المراجع:

2. إبراهيم السامرائي: الفعل زمانه وأبيتيه. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1980.

3. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر، مصر، دط، دت.

4. ابن رشيق أبو الحسن: العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1422، 2001.

5. ابن منظور : لسان العرب. دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

6. ابن منظور: لسان العرب. دار المعارف، تح: عبد علي كبير وآخرون، القاهرة، دط.

7. أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

8. أبو القاسم سعد الله: عبد الكريم الفكّون داعية السلفية. دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1986.

9. أبو بكر ابن العربي: أحكام القرآن. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

10. أحمد الحملاوي: شدا العرف في فن الصرف. الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر، ط 1، 2007.

11. أحمد بن محمّد المقري التلمساني: نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب وذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب. المعرفة الدّولية للنّشر والتوزيع، الجزائر، ط1، دت.

12. أحمد شهاب الدين الخفاجي: نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض. المطبعة الأزهرية، مصر، ط3، 1328 هـ.

13. أحمد عثمان أحمد: المعلقات دراسة أسلوبية. دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، القاهرة، دط، 2007.

14. الأعشى (ميمون بن قيس) : الديوان. شرحه وقدّم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتاب العلمية، بيروت – لبنان، ط2، 1993.

15. الألباني محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزيادته. تح: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1408هـ.

16. بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، دط، دت.

17. بلقاسم بن منيع: نزهة اللبيب في محاسن الحبيب، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة، الجزائر، دط، 1926.

18. حسّان بن ثابت : الديوان. دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط2، 1994.

19. حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية. دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1998.

20. الخطيب التبريزي: الوافي في العروض القوافي. تح: فخر الدين قباوة، دار الفكر، سوريا، ط4، 2002.

21. داوود عطاش: النحو العربي التطبيقي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط1، 2000.

22. زكي مبارك : أحمد شوقي. دار الجيل، بيروت – لبنان، ط1، 1988.

23. زكي مبارك: المدائح النّبوية في الأدب العربي. منشورات المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، لبنان، ط1، 1995.

24. زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي. منشورات المكتبة العصرية، بيروت– لبنان، ط1، 1935.

25. شهاب الدين الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار الحديث، القاهرة، 2005م.

26. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي – العصر الإسلامي. دار المعارف– الإسكندرية، مصر، ط7، د.ت.

27. شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث. دار المعارف، القاهرة، د.ط، 2010.

28. صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم. دار الكتاب الحديث، بيروت، لبنان، د ط، 2011.

29. عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط2، 1980.

30. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز. تح: المثنى به محمد علي زينو، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

31. عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز، تح: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 01، 1425 هـ- 2005 م.

32. عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري: السيرة النبوية. دار البيان العربي، مصر 2005.

33. عبد الله ركيبي : الشّعر الدّيني الجزائري الحديث. دار الكتاب العربي، الجزائر، د.ط، 2009.

34. علي الجارم، مصطفى أمين: النحو الواضح في اللغة العربية. مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط 1، سنة 2012.

35. علي غريب محمد الشاوي: الصورة الشعرية عند الأعمى تطيلي. مكتبة الآداب، مصر، ط1، 2003.

36. عمر بن قينة : صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، أعلام وقضايا ومواقف، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر، ط1، 1993.

37. فايز الدايه: علم الدلالة العربي. النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية ناصلية نقدية، دار الفكر، دمشق، ط1،1985.

38. الفيروز آبادي : القاموس المحيط. مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط8، 2005.

39. القاضي عياض: كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى. وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، دط، 2006.

40. كروم بومدين: أبو الحسن الششتري - حياته وشعره. دار التوفيقية، الجزائر، ط 1، 2011.

41. محمد أبو شوارب، أحمد المصري: قطوف بلاغية. دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2006.

42. محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه. منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

43. محمد بن سعيد البوصيري: الهمزية في مدح خير البرية. (مخطوط)، جامعة الملك سعود،1957.

44. محمد سليمان الجزولي: دلائل الخيرات. دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 2014.

45. محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الجبل، بيروت، لبنان، دط، دت.

46. محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث. دار غريب للطباعة والنشر، د.ط، 2001.

47. محمد موزاوي: الدروس الوافية في العروض والقافية. دار هومة، الجزائر، دط، دت.

48. محمود سالم محمد: المدائح النبوية حتّى نهاية العصر المملوكي. دار الفكر، دمشق- سوريا، ط1، 1996.

49. محمود علي مكّي : المدائح النبوية. الشركة المصرية العالمية للنشر، الجيزة- مصر، ط1، 1999.

50. مختار عطية: علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع، دراسة بلاغية. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، دط، 2004.

51. مصطفى الشّعكة : البيان المحمّدي. الدّار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1995.

52. مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، تح: علي سليمان شبارة، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، سوريا، ط1، 2012.

53. مصطفى فتحي أبو شارب: الظواهر الإسلامية في شعر المخضرمين – دراسة تحليلية. دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط1، 1990.

54. موسى بن محمد نويوات: المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي، دار الحكمة للطباعة والنشر، الجزائر، ط4، 1994.

55. النبهاني يوسف: وسائل الوصول إلى شمائل الرسول. دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 1970.

56. نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب. دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 1997.

57. وليد قصاب: ديوان عبد الله بن رواحة ودراسته في سيرته وشعره. دار العلوم للطباعة والنشر، د. ب، د.ط، 1981.

الملاحق

الملحق 01: ترجمة حياة الشاعر بلقاسم بن منيع

إنّ المتأمل في تاريخ مدينة جيجل، ليكتشف الزخم العلمي والثراء الفكري والإباء الثوري لدى أهل هذه المنطقة، لكن من المؤسف أن نرى إهمال المؤرخين والباحثين لهؤلاء العلماء، ولا نكاد نجد إلاّ بعض المجهودات المبذولة من قبل بعض الجهات لجمع شتات المعلومات التاريخية والسير الذاتية لهؤلاء المشايخ والعلماء وأعمالهم التي تركوها، ومن هؤلاء الكرماء الفضلاء نجد الشاعر الإمام الزاهد الشيخ العلامة بلقاسم بن منيع بن عبدالله بن بوجمعة التاكساني الجيجلي، الذّي يعد من أبرز علماء جيجل المغمورين، ومن رجالات الجزائر الماضين الذين لازال جلّ ثراؤهم رازحا في سراديب الإهمال وطيّ النسيان لا يبرح ولا يريم يعلوه غبار السنين، فنحاول في هذه السطور أن نقدم نبذة عن حياته فيما يتعلق بسيرته الذاتية.

ميلاده وطفولته: ولد الشيخ بلقاسم عبد الله بن منيع عام 1875 بمنطقة تاكسنة حاليا، في أسرة محافظة وثورية، وهو أحد رواد الوطنية المدافعين عن الشخصية الجزائرية وكان أبوه أحد جيش عزيز في المقاومة الشعبية آنذاك المعروفة بثورة المقراني 1871.

وفي هذا الجو الثوري حامي الوطيس وفر له أبوه ظروف التعلم، فبدأ الطفل بلقاسم تعليمه في أحد الجوامع الصغيرة بمنطقة تاكسنة، اين حفظ القرآن الكريم وتعلّم اللغة العربية، فاستظهر القرآن الكريم على مشايخ قريته، وذلك ما أهّله إلى السفر طلبا للعلم.

رحلته في طلب العلم: بعد أن تلقى بلقاسم بن منيع عن شيوخ مسجد قريته القرآن الكريم وعلومه، انتقل عام 1888 إلى زاوية سيدي الحسين القشي قريبا منه في ميلة، وهنالك أحاط باللغة العربية والفقه والتاريخ والحساب، فقد ذكر عمر بن قيمة " أنه أحاط هنالك بالكثير من المتون لمختلف العلوم، منها (متن الأجرومية) و(أمّ

البراهين) و(الرحبية) و(الجواهر المكنون) و(المرشد المعين)، كما حفظ الكثير من شعر الزاهدين والشعر العربي القديم"[1]

و بعد أن استظهر كلّ ذلك انتقل إلى جامع الزيتونة عام 1894 رغبة منه في الاستزادة من العلم، فدرس على يد أكابر علمائها، وأشهر مشايخها، فنبغ عندهم، وسطع نجمه، ويقي يطلب العلم إلى أن نال شهادة عالمية سنة 1901.

ومن معالم وفائه لأهله بمنطقة تاكسنة ووعيه بالدور التربوي والتعليمي المنوط به، أنه بمجرد ما نال الشهادة العالمية عاد إلى مسقط رأسه وأسّس فيها مسجدا (يحمل اليوم تسميته)، ونزل هنالك يدرس تلاميذ هذه القرية وما حولها، وكان يجتهد في تحفيظ القرآن الكريم وعلوم الدين، وجعل من أهدافه الكبرى إنشاء مرافق تعليمية وتعبّدية، فكان لا ينزل قرية إلاّ ويدعوهم إلى كتاتيب قرآنية أو مسجد يذكر فيه الله تعالى.

وفي عام 1908 استدعاه أهل زاوية (سيدي الحسين القشي) بميلة، فنزل عندهم مدرّسا وفقيها ومفتيا، فدرس على يديه تلاميذ كثر نبغوا بعده، وكانت للشيخ بن منيع علاقة طيبة مع ابن باديس الذي نشر له قصيدته الرائعة (نزهة اللبيب في محاسن الحبيب)، وهي القصيدة التي كانت محل دراستنا في هذه المذكرة، فنشرها له ابن باديس في جريدة الشهاب لعدد 13 ماي 1926.

كما ثبت أنه " كتب قصائد أخرى متفرقة كثيرة في المديح النبوي والرثاء، ولكنها مفقودة في تلاميذه، فهو بذلك شاعر بليغ، وأديب أريب، وفقيه مفوه، وعلامة جليل، ولغوي جهبذ، ومصلح مجتهد، ومدرس بالغ

(1) عمر بن قينة : صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، أعلام وقضايا ومواقف، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر، ط1، 1993، ص 211.

الدراية."[1]

و في سنة 1933 سارت قافلة الحج من قسنطينة، فركب فيها حجّاج كثر من منطقة جيجل، من بينهم الشيخ بلقاسم رفقة عدد كبير من رجال الدين أمثال محمد الطاهر الساحلي والشيخ أحمد الحبيباتني وغيره، وفي سنة 1938 عاد الشيخ بن منيع إلى مسقط رأسه بتاكسنة، وواصل دعوته الإصلاحية بها، حيث لازم التدريس فيها بقية حياته، وظل الشيخ بن منيع على جهاده في ميدان التربية والتعليم والإمامة والإصلاح الاجتماعي والإرشاد الديني إلى أن وافته المنية وهو ساجد بالمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة أثناء أدائه لفريضة الحج للمرة الخامسة، فدفن هنالك بمقبرة "البستان"، وقبره هنالك إلى اليوم، ولم يترك خلفه آثارا كتابية بقدر ما ترك أمانيه العلمية في صدور طلبته وتلاميذه، وكذا فريدته الرائعة " قصيدة نزهة اللبيب في محاسن الحبيب".

إنّ الشيخ العلامة الشاعر الفقيه بلقاسم بن منيع لهو بحق علم شامخ ورجل أمّة، لأنّ دوره التربوي الذّي أدّاه ابتداء من قريته بتاكسنة، ثمّ بزاوية سيدي الحسين القشيب ميلة ثم بجامع الزيتونة بتونس لهو دور هام جدّا في مستقبل هذه المنطقة التي أنجبت بعده علماء آخرين واصلوا رسالته واتبعوا نهجه.

(1) عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط2، 1980، ص ص 322، 323.

الملحق 02: قصيدة نزهة اللبيب في محاسن الحبيب

فهرس الموضوعات

فهرس المحتويات

مقدمة.....أ

الفصل الأول: المديح النبوي في الشعر العربي.....**1**

المبحث الأول: مفهوم المديح النبوي 2

1- التعريف بالمديح لغة 2

2 – التعريف بالمدائح النبوية اصطلاحا.....3

المبحث الثاني: نشأة المديح النبوي وتطوّره: 4

1 – نشأة المديح النبوي: 4

2 – المديح النبوي في العهد الأموي 11

3 -المديح النبوي في العصر العباسي 15

4 -المدائح النّبوية في العصر الحديث 21

المبحث الثالث: المديح النّبوي في الجزائر.....25

1– مرحلة المديح النّبوي في الشّعر الجزائري القديم: 25

2 - المدائح النبوية في الشّعر الجزائري الحديث:.....31

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية على المديح النبوي عند ابن منيع التاكساني **39**

المبحث الأول: المستوى الصوتي 41

1- الموسيقى الخارجية 41

2- الموسيقى الداخلية 45

المبحث الثاني: المستوى التركيبي 54

1- الصرف 54

2- النحو 61

المبحث الثالث: المستوى البلاغي 73

1- الأساليب: 73

2- الصورة الفنية وأثرها الدلالي في نزهة اللبيب في محاسن الحبيب: 81

3- التناص: 87

المبحث الرابع: المستوى المعجمي 96

1-المعجم الإسمي: 98

2- المعجم المكاني 111

خاتمة **116**

قائمة المصادر والمراجع **119**

الملاحق **124**

فهرس الموضوعات **155**